



خِزَانَةُ الْحِكْمَةِ

بَيِّنَاتُ الْعَقْلِ وَالتَّعْقُلِ

وَفِيهِ خُلَاصَةٌ حِكْمٍ
لِأَبِي حَاتِمٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَبَّانِ الْبُسْتِيِّ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٥٤ هـ

قَدَّمَ لَهُ وَانْتَحَبَ حِكْمَهُ
د. مُحَمَّدُ بْنُ سَيَّارٍ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي نَجْمٍ



حِزْبُ الْبَيْتِ الْحَكِيمِ

بَيْنَ الْعَقْلِ وَالتَّعَقُّلِ



الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

© جميع الحقوق محفوظة

الكويت- الجھراء- القيصرية القديمة

كابيتول مول- السرداب محل ٢٤

الموقع الإلكتروني: www.daradahriah.com

البريد الإلكتروني: daradahriah@gmail.com

هاتف: +965 99627333 - +965 51155398



الموزعون المعتمدون

الكويت: دار أندلسية للنشر والتوزيع - 94747176 (+965) - darandalusia@hotmail.com

الكويت: مركز طروس للنشر والتوزيع - 90090146 (+965) - torousq@gmail.com

الرياض: دار التدمرية للنشر والتوزيع - 114925192 (+966) - tadmoria@hotmail.com

المدينة المنورة: مكتبة الميمنة المدنية - 558343947 (+966) - daralmimna@gmail.com

المدينة المنورة: مكتبة زاد الراوي - 0542658208 (+966) - al.raawe.zd@gmail.com

جدة: مكتبة الشنقيطي للنشر والتوزيع - 504395716 (+966) - hassan_hyge@hotmail.com

مكة المكرمة: المكتبة الأسدية للنشر والتوزيع - 125273037 (+966) - alasadid2000@hotmail.com

اسطنبول (منطقة الفاتح): دار الأصالة - 2125118547 (+90) - asalet@asaletyayinlari.com.tr

القاهرة: دار الأنصار للنشر والتوزيع - 0225121020 (+20) - daralansar419@gmail.com

الجمهورية اليمنية: مكتبة بنيان - 777627633 (+967) - bnyanmakbt@gmail.com

لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله بأي شكل أو واسطة - أو أي جزء منه -، سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي) أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من دار الظاهرية للنشر والتوزيع.

حِزَابُ الْحِكْمَةِ

بَيْنَ الْعَقْلِ وَالتَّعْقُلِ

وَفِيهِ خُلَاصَةٌ حِكْمٍ
أَبَّى حَاتِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَبَانَ البُسْتِي
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٥٤ هـ

قَدَّمَ لَهُ وَانْتَخَبَ حِكْمَهُ
د. مُحَمَّدُ بْنُ سَيَّارٍ بْنِ عَلِيِّ البَيْهَقِيِّ

دَارُ الظَّاهِرِيَّةِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوَزُّعِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



إهداء

إلى من كشفتهم الأيام وعرّتهم عوامل التعرية، فعرف
الناس حالهم، وتباعدوا عنهم بغية السلامة من طيشهم
وهيشهم.. بل وحمقهم..
أهدي هذه الخزانة...

المشفق

محمد





مقدمة

حمداً لمن جَمَلنا بالعقول، وتفضل علينا بمعادن الحكم، وأضفى صفات العقلاء على أوليائه ليتحلوا بها، فجعلها عليهم دليلاً، ولقلوب مُشاكبيهم سبيلاً.

والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، المبعوث بالتوحيد، وإتمام مكارم الخلق، وآله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، ثم أما بعد.

فلما كان مفتاح صلاح الدين والدنيا معاً العقل والتعقل، حث العقلاء على السعي على تحصيل الحكمة، والسير إلى دروبها، تذيلاً لآفة عَجَب العقل، وتسكيناً لسلطانة على النفس، فإذا سكنته الحكمة عاش صاب بعافية، فإن أفضل ما يقسمه الله للناس العقل، والتعقل، بل لا يتم دينك حتى يتم عقلك، فهو عمود التكليف، ومفتاح قبول النفس للأمر والنهي وعليه تكون المجازاة.

ولقد لعبت بي الدنيا ظهراً لبطن، حتى أحاجتني للاحتكاك مع أصناف الناس، ممن ظهر أمامي حُسن عقلهم من قبحه، حتى حمدت الله عز وجل على نعمة العافية، وتعلمت أن بعض أصحاب الشارات لا يملكون ما يوازونها من العقل المدير لعلومهم، المسير لفهومهم،

فرأيتهم يتحلون النميمة، والغيبة، والكذب، والمرء، والتزيد بالأعمال، والتنافس في الأحوال، والتعاطم في المجالس، والتفاقم في المحافل، واتخاذ الناس سخرياً في خدمتهم، والضعة النفسية، والهزيمة المعنوية، واستراق السمع، والتحسس، بل والتجسس، كل ذلك وأكثر من أجل سد الطرق، والذرائع التي تحاول انتقاصهم، أو منافستهم في دنياهم، ولو لزموا العقل والتعقل وآدابهما لما احتاجوا إلى شيء من هذا الهرج والمرج الثقافي والسلوكي، فخلوت بنفسي، ولزمت مصادر أنسي كتابي وفنجان الشاي - فكفى الله روي كثيراً من التشرذ، وعصمني الله بالسعي الحكمة، والبحث عنها في كتب العلماء، وكان حاتم البستي، فنبشت معالم الحكمة، وانتقيتها على كثرتها، وأخذت من كل عقيد جوهرته، ومن كل مقال خلاصته، فكانت هذ الخزانة، الموعبة لحكم أبي حاتم، قدمتها بمقدمة فيها بيان معنى العقل والتعقل، وآثارهما وثمارهما، ودفعتهما هدية لكل محتاج، فإن «العقل يبدئ بالصنائع قبل أن يسأل» كما يقرر ذلك ابن حبان - رحمه الله - وقد جعلتها في حقيقة الأمر كناشة حكمة، وخزانة معرفة أراجعها كل وقت وحين.

وكتب

أبو عبدالعزيز



مفهوم العقل [بين العقل والتعقل]

أولاً: العقل لغةً:

العقل لغة يشير إلى معانٍ عدة، منها:

- الحبس، فقد أفاد ابن فارس بأن العقل هو الحابس عن ذميم القول والفعل^(١).

- نقيض الجهل، يُقال عقل يعقل عقلاً، إذا عرف ما كان يجهله قبل^(٢).

- الحجر والنهي، وهو ضد الحمق^(٣).

ثانياً: العقل اصطلاحاً:

عرّفه ابن عطية بأنه: «الإدراك المانع من الخطأ»^(٤).

وعرفه الراغب بقوله: «هو القوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال

للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل»^(٥).

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٤/٦٩).

(٢) ينظر: العين، الخليل بن أحمد (١/١٥٩).

(٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور (١١/٤٥٨).

(٤) المحرر الوجيز، ابن عطية (١/١٣٧).

(٥) المفردات، الراغب، (ص٥٧٧).

ونقل القرطبي في تفسيره بأن العقل هو: «المدرک للأشياء على ما هي عليه من حقائق المعاني»^(١).

نعمة العقل:

نعمة العقل هي تلك النعمة التي ميز الله جل وعز بها الإنسان عن سائر الكائنات الأخرى وهي من فضل التكریم الرباني للإنسان، وهو أيضاً تلك الميزة التي تجعل الإنسان مكلفاً؛ فخطاب التكليف كما هو معروف قد نزل على العقلاء من البشر لأن التكليف هو أن يميز الإنسان بين الخطأ والصواب أي أن يكون لديه القدرة على عملية الاختيار والتحديد ثم يكون جزاءه على أساس ما اختاره.

العقل هو أساس المهمة الاستخلافية في الأرض للإنسان، وهو أهم النعم التي أنعم بها الله - سبحانه وتعالى - عليه، فالإنسان يتفوق على نفسه بعقله، حيث أن العقل هو أداة التفكير والرشد والإدراك والفهم، فمن خلال العقل يستطيع الإنسان أن يقوم ببناء علاقته بالآخرين بوضوح، والتفطن لما يدور حوله، بالإضافة إلى قدرته على مراجعة أفعاله أو تصرفاته والتحكم فيها.

• الثمار والآثار:

للعقل آثار عديدة، أذكر منها ما يأتي:

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١/٣٧٠).

١- معرفة الله جل وعز؛ فهذه المعرفة مبنية على استخدام العقل الذي منحنا الله إياه لتأمل في عجب خلقه، وندرك به عظمة مخلوقاته جل وعز، فمن غير العقل لا يمكن للإنسان أن يدرك نواميس الكون وقوانينه، وبدون العقل لا فرق بين الآدمي والحيوان الذي لا يدرك ولا يميز .

٢- تحقيق المنفعة ودرء المفسدة، وقد سُمي العقل عقلاً؛ لأنه يعقل به ما ينفعه من الخير، وينعقل به عما يضره؛ فالعقل يميز به الحق والباطل، ويمنع صاحبه من ارتكاب ما يضر^(١).

٣- التقدّم العلمي والتكنولوجي الذي نلمس أثره اليوم، هو ثمرة من ثمار العقل البشري وأثر من آثاره، فبدون استخدام العقل لم يكن للإنسان أن يصل إلى هذا التطور الكبير، الذي كان ولا يزال في تقدم مستمر، يكتشف أسرار الأشياء، ويوظفها لتسهيل حياة الناس، وتقديم الخير والمنافع للبشرية.

٤- التكليف؛ حيث يُعدّ العقل أداة فهم الإنسان للأحكام الشرعية والامتثال لها؛ فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المبتلى حتى يبرأ، وعن الصبي حتى يكبر»^(٢).

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٥١).

(٢) أخرجه أبو داود في الحدود- باب في المجنون يسرق أو يصيب حدًا (٤٣٩٨)، والنسائي في كتاب

٥- تحقيق مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال؛ فالعقل الراجح هو الذي يقود صاحبه إلى امتثال الفضيلة، وهو الذي يدعو صاحبه إلى التمسك بالخلق الرفيع، والابتعاد عن مفاسد الأخلاق ورذائلها.

٦- الحكمة، وهي من آثار نعمة العقل على الإنسان؛ فلا تخرج الحكمة إلا من عقل راجح، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

• النضج:

النضج بوجه عام هو حالة من التوافق المحكم تُشير إلى اكتمال وتناغم العمل ما بين الوظائف العقلية، والجسدية، والفسولوجية، والروحية، والاجتماعية، بصورة تمكّنه من فهم الحياة بتناقضاتها المختلفة والمعقدة، وكذلك الاستقلالية في التحكم في شؤونه واتخاذ القرارات المصيرية المعقولة والمنطقية والسليمة في حياته بمعزل عن سيطرة الآخرين وتأثيرهم، فلا يكون تابعاً لغيره^(١).

ومنضجات العقل كثيرة، منها:

أ- الصدمات:

أغلب الأبحاث العلمية والسيكولوجية تناقش في هذا المجال (النضج ما بعد الصدمة)، إذ تبين وجود بعض الناس التي تتعايش

الطلاق- باب من لا يقع طلاقه من الأزواج (٣٤٣٢)، وابن ماجه في كتاب الطلاق- باب طلاق المعتوه والصغير والنائم (٢٠٤١).

(١) ينظر: «تشكيل البروفيل المهني على ضوء مفهوم النضج المهني مقارنة مفاهيمية تحليلية»، بلعباد عبد القادر، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ٢٦، سبتمبر ٢٠١٦م، (ص: ٣٦١، ٣٦٢).

مع الصدمة وتتعلم منها بشكل إيجابي وتنتصر عليها مهما بلغت نسبة الضرر منها، ويستطيعون الوصول إلى مرحلة النضج ما بعد الصدمة، ما يمكنهم من التعامل مع الصدمة وتأثيراتها وضررها، ومن ثم ينخرطون في التأثير والتأثر، وهذا في المحصلة يؤدي إلى التأقلم الطبيعي مع تغيرات الحياة صحياً واجتماعياً واقتصادياً^(١)، فهي من منضجات العقل.

ب- التجارب:

ثمة علاقة بين التجارب والنضج، فيمكن القول بأن «التجارب التي يمر بها الإنسان هي من حُسنِ حظِّه في حياته، ومن أقداره العظيمة التي تحدث له أن يمرَّ بمطباتٍ تستخرجُ منه أعظم ما فيه إلى هذا العالم، وتمرنه على كافة منحنياته ارتفاعاً وانخفاضاً فتصنعه ثابتاً أمام أيِّ معطى وتحت أيِّ ظرف، حتى تنضجه وتشكّل منه مجموعة أعمارٍ ملخّصة في عمر واحد... إن العمرَ ليس مقياساً للنضج أبداً، إنما التجربة هي المقياس، إنها -التجربة- هي الحالة التي تحدث للإنسان فيتصرف أمامها للوهلة الأولى بعفوية أو بسذاجة أو بطريقة غير حكيمة ربما!، لكن ليس هذا هو المهم، المهم هو أثر هذه التجربة وما ستركه في الإنسان من مراحل نضج وشيب ووقار، فالتجربة هي الحالة التي

(١) ينظر: مقال بعنوان: النضج بعد الصدمة، محمد الحمزة، جريدة الرياض، نشر بتاريخ ٢٧ يوليو

يتحوّل بعدها الإنسان إلى إنسان شبه مختلف أو مختلف تمامًا عما كان عليه - فتتغير طريقة إبصاره للأمور وحكمه عليها، ويتحول إلى إنسان أنضج رؤية، وأوسع أفقًا وأكثر وقارًا، وصاحب كيان صلب وقوة^(١).

ج- التحديات:

لا شك أن التحديات التي تعترض طريق الإنسان من فترة إلى أخرى أو في مرحلة ومرحلة، هي رسالة لمزيد من الوعي والنضج، لتخرج أجمل ما في الإنسان؛ لتحقيق مبتغاه.

وإن ما يزيل الهم والضعف والاستسلام هو الإدراك بأن ما يمر به الإنسان من تجربة أو إخفاق، هو أحد العوامل التي تساعد ليكون أقوى وأنضج وأوعى من قبل^(٢).

د- الحوار:

الحوار هو أرقى وسائل التواصل، ويهدف إلى تحقيق التفاهم المشترك، من أجل اكتشاف أوجه التشابه وفهم الاختلافات في وجهات النظر المختلفة، وليس الهدف من الحوار إقناع الآخرين بالموافقة على وجهة نظر معينة أو تبرير ما نعتقده ونؤمن به، إنما الحوار يهدف إلى تجاوز سوء الفهم من أجل تعزيز التفاهم المتبادل.

(١) من مقال: «التجربة.. محطة نضج»، إيمان أبو شيحة، جريدة الجزيرة أونلاين، نشر بتاريخ ٣٠ يناير

٢٠١٧م.

(٢) ينظر: مقال بعنوان: «تحديات الحياة»، هيفاء صفوق، جريدة العربية، نشر بتاريخ ٩ أكتوبر ٢٠٢١م.

فالحوار الناضج يجب أن يسود، ويبنى جسور التفاهم بين أصحاب الآراء المختلفة سعياً إلى تحويل العلاقات الإنسانية القائمة على الجهل والتعصب إلى حالة أفضل من الفهم والاحترام لما هو مشترك وما هو غير مشترك.

ولكي يتَّسم الحوار بالنضج، ينبغي ألا يخلو من بعض الأمور،
منها :

- تحديد الموضوع الرئيس للحوار والهدف منه، مما يساعد في كسب الوقت من أجل الوصول إلى النتيجة المرجوة من الحوار.

- الموضوعية في الحوار؛ حيث يتم الحوار على أساس الموضوع وليس بناءً على شخصية المحاور، كما يجب على المتحدثين تجنب الكذب، والبعد عن الميول.

- استخدام لغة واضحة، مفهومة، وقوية، فيجب أن يكون الحوار هادفاً، والغرض منه التوصل إلى الحقائق.

وحينما يتَّسم الحوار بالنضج، يصبح له آثار عديدة، منها:

- التنمية المعرفية والفكرية من خلال التأثير الكبير على الفكر عن طريق تحفيزه، وطرح الأسئلة ومناقشتها للإجابة عنها أثناء الحوار.

- التحصيل المعرفي من أهم الوسائل التي يساهم الحوار الناضج في تحقيقها؛ إذ يُعد من أفضل الأساليب للحصول على المعرفة، ممَّا

يؤدي إلى زيادة الثقافة عند الإنسان.

- زيادة الثقة بالنفس، والشعور بتحقيق الإنجاز، والقدرة على تحمُّل المسؤولية؛ إذ أن الحوار الناضج يُساهم في بناء ثقة قوية بين أطرافه، ويجعلهم قادرين على تحقيق الفائدة المرغوبة من الحوار.
- تفعيل دور الصدق في التواصل والتعامل، والاعتماد على دعم التفاهم، وتجنُّب الصراعات والنزاعات بين أطراف الحوار، ونتاج هذا: هو تربية الأفراد على أساس الجد والصدق في الحوار.
- تعزيز التعاون والتفاعل؛ من أجل تحقيق أحسن وأفضل أنواع الحوار بين الأفراد.

• مفهوم التعقل:

التعقل لغة: العقل والإدراك والتمييز والتفكير والتدبر والفهم، تعقلَ يتعقل، تعقلًا، فهو مُتعقل، يُقال تعقل الغلام: عقل، أدرك، ميّز، بلغ سنَّ الرُّشد، وتعقل الرَّجُل: تفكّر، تدبّر، فهم وأدرك^(١).

التعقل اصطلاحًا هو: «الانتباه لما يحدث في اللحظة الراهنة سواء كان منبهات داخلية (أفكار وأحاسيس جسدية) أم خارجية من البيئة الاجتماعية والمادية، ومراقبة هذه المنبهات دون الحكم عليها أو تقييمها»^(٢).

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٥٣١).

(٢) دور التعقل في تعديل العلاقة بين ضغوط العمل والاحترق النفسي لدى عينة من مديري المدارس

وقيل: الممارسة المنتظمة للتأمل والتفكير الناضج والتي من المرجح أن تؤدي بدورها إلى الصفات الإيجابية للشخصية الإنسانية مثل الوعي والبصيرة والحكمة ورباطة الجأش^(١).

فهي: انتباه لما يحدث للإنسان، وإدراك ناضج ناتج عن عقل واعي بما حوله، يثمر الحكمة ورباطة الجأش والتؤدة.

• نعمة التعقل:

١- سلامة التفكير، وحظي التعقل بأهمية كبيرة في الإسلام، وما أكثر آيات القرآن الدالة على ذلك؛ فقد قال الله جل وعز: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(١٨).

٢- النجاة من حمول التفكير، وهذا من نعم التعقل، فإن الغفلة والذهول من شيم العصاة، الذي لا يدركون أهمية التعقل والتدبر اللذين حث عليهما القرآن، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

٣- تطوير المعارف الإنسانية؛ فالتعقل صفة إيجابية ملازمة للمبدعين، الذين يواصلون تحقيق أهدافهم، ويواصلون الإلهام لتطوير

الحكومية ووكلائها، صفاء إسماعيل مرسي، مجلة دراسات نفسية، المجلد (٢٩)، العدد (٤)، أكتوبر ٢٠١٩م، (ص: ٦٢٦).

(١) ينظر: اليقظة العقلية، الضغوط النفسية، والإنجاز الأكاديمي لدى طلبة الجامعة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، في علم النفس، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، إعداد الطالبة نورة دغوش، ٢٠٢١ / ٢٠٢٢م، (ص: ٦٩).

المعارف الإنسانية^(١).

٤- التوازن في المواقف والحكمة في الرأي، الإعذار للمخالف،
والتثبت والحذر؛ قيم من قيم التعقل.

• آثار وثمار:

١- اليقظة، أي تطوير الفرد للأفكار الجديدة، والانفتاح على
الجديد وحب الاستطلاع، والتوجه نحو الحاضر واللحظة الحالية،
والوعي بوجهات النظر المتعددة^(٢).

٢- إعمال العقل، وجعله دائما في هالة استعداد وتأهب؛ فالعقل
هو آلة التفكير والإبداع من أجل تحصيل العلوم والمعارف، وسهولة
العيش وإدراك الحياة وتحقيق الخبرات والتجارب الحياتية^(٣).

٣- الانتباه، ويعني قدرة الفرد على تركيز ذهنه ووعيه على شيء
ما لفترة طويلة، ومنع أي مدركات أخرى تدخل إلى حيز انتباهه^(٤).

٤- التوازن في الموقف العقلي، ومن ثم السلامة العقلية والجسمية
وتحسين السلوك والتصرف بوعي ومرونة^(٥).

(١) ينظر: اليقظة العقلية، نورة دغوش (ص: ٧٩).

(٢) دور التعقل، صفاء إسماعيل مرسي، (ص: ٦٣٠).

(٣) ينظر: اليقظة العقلية، نورة دغوش (ص: ٧٣).

(٤) دور التعقل، صفاء إسماعيل مرسي، (ص: ٦٣١).

(٥) المرجع السابق نفسه.

• قيم التعقل:

أ- الحكمة:

الحكمة مزيج ما بين المعرفة والخبرة والفهم العميق للتسامح والتوازن، بالإضافة إلى الاحتماليات والشكوك في الحياة؛ حيث إنّ الحكمة تمتاز بكونها شاملة لكل الخبرات الإنسانية التي تم التعرف عليها منذ القدم، ولكن على الرغم من هذا فليست كل التجارب مانحة للحكمة، لأنّ الحكمة تكون ناتج لجميع العمليّات العاطفيّة والاجتماعيّة والمعرفيّة والعلميّة، التي تساهم وتعزّز عملية تحويل الخبرة إلى حكمة. ويحافظ الحكماء على هدوئهم في أوقات الأزمات، وهم قادرون على الرجوع خطوة للوراء والنظر إلى الصورة بشكل أشمل، وبفهم عميق، ويجيدون التأمّل في قدرات الذات، ويدركون حدود معرفتهم الخاصة، ويفكرون في البدائل، ولا ينسون أن العالم يتغير على الدوام^(١).

ب- التوازن:

التوازن في مراعاة جوانب الحياة المختلفة يُحقّق للإنسان سعادته، ويُجنّب الاضطراب والخلل الناشئ من الإفراط في أحد الجوانب، والذي يؤدي إلى التفریط في جانبٍ آخر، فالإفراط في حبّ الدنيا وزينتها يؤدي إلى التفریط في الآخرة، والإفراط في العمل أو العبادة

(١) ينظر: مقال بعنوان: «الحكمة.. كيف نستخدمها مع أولادنا»، للكاتب: محمد بن أحمد الناشري،

يؤدّي إلى ضياع حق الزوجة والأولاد.

ومن توازن المسلم وتميزه أن يكون معتدلاً في تعامله مع جسمه ومع عقله ومع روجه، فمن توازنه مع جسمه أن يكون معتدلاً في طعامه وشرابه، وفي حسن هيئته وفي نظافة جسمه وفي ممارسة الرياضة.

ومن التوازن مع الروح أن يصقلها بالعبادة ومجالس الإيمان، والرفقة الصالحة وقراءة القرآن، والأذكار.

ومن التوازن العقلي أن يوازن الإنسان بين الحلم والواقع فلا ينشغل بالواقع وينسى أحلامه، ولا تأخذه الأحلام بعيداً عن معايشة الواقع^(١).

ج- الإعذار:

الإعذار مصدر أعذر بمعنى صيرورة الشخص ذا عذر، يقال: أعذر الرجل، أي صار ذا عذر^(٢).

قال جعفر بن محمد - رحمه الله - : «إِذَا بَلَغَكَ عَنْ أَخِيكَ الشَّيْءُ تُنْكِرُهُ فَالْتَمِسْ لَهُ عُدْرًا وَاحِدًا إِلَى سَبْعِينَ عُدْرًا، فَإِنْ أَصَبْتَهُ وَإِلَّا قُلْ: لَعَلَّ لَهُ عُدْرًا لَا أَعْرِفُهَا»^(٣).

(١) ينظر: وقفات مع أحاديث تربية النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته، عبد الرحمن الزيد، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، الطبعة: السادسة والثلاثون، (ص: ١٥٠).

(٢) لسان العرب، (٩/١٠٢).

(٣) شعب الإيمان للبيهقي، (١٠/٥٥٩).

والإعذار من قيم التعقل، فمتى كان الإنسان حسن الظن، متغافلاً عن عيوب غيره، كان ذلك دليلاً على كمال عقله.

وقد جاء عن معاوية رضي الله عنه: أحب أن يكون الرجل عاقلاً متغافلاً^(١).

وقد قال أبو تمام:

لَيْسَ الْغَيْبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَغَابِي^(٢)
د- التثبُّت:

إن للتثبُّت أهمية عظيمة في حياة الناس، فعندما يبني الإنسان تصوراتَه، ويصدر أحكامه على أساس من العلم، وليس الظن والتخريص، فإن ذلك يحميه من الوقوع في ظلم الناس، واتهامهم في أعراضهم وأموالهم^(٣).

وقد جاء الأمر بالتثبُّت في نصوص كثيرة، منها قول الله تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ﴾ [الحجرات: ٦].

قال السعدي -رحمه الله-: «والتثبُّت في سماع الأخبار وتمحصيها ونقلها وإذاعتها، والبناء عليها أصل كبير نافع، أمر الله به

(١) عيون الأخبار (١/ ٣٢٧).

(٢) ديوان أبي تمام (ص: ٢٨).

(٣) ينظر: أدب الكلام وأثره في بناء العلاقات الإنسانية، عبد الله عودة، (ص ٥٢).

رسوله... فمن تحقق وعلم كيف يسمع، وكيف ينقل وكيف يعمل، فهو الحازم المصيب، ومن كان غير ذلك فهو الأحمق الطائش الذي مآله الندامة»^(١).

هـ- الحذر:

الحذر من أهم سمات العقلاء، وهو نبراس الحكمة، وبه يتفادى الإنسان العديد من المشاكل والعوائق التي لا داعي لها.

قال البيضاوي -رحمه الله-: «جُعِلَ الحذر آلة يتحصن بها المغازي فجمع بينه وبين الأسلحة في وجوب الأخذ»^(٢).

وقال السعدي -رحمه الله-: «الحذر من الأعداء الحريصين غاية الحرص على الإيقاع بالمسلمين، والميل عليهم وعلى أمتعتهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ [النساء: ١٠٢]»^(٣).

وقال البغوي -رحمه الله-: «وَخُذُوا حِذْرَكُمْ» أي: راقبوا العدو كي لا يتغفلوكم، والحذر ما يُتَقَى به من العدو»^(٤)، فالحذر من الفطنة والتعقل.

(١) الفتاوى السعدية (ص ٦٦-٦٧).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (١/٤٩٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (١/١٩٨).

(٤) معالم التنزيل، البغوي (٢/٢٨٠).

• علاقة الحكمة بالتحديات:

ثمة علاقة وطيدة بين الحكمة والتحديات، فالتحديات التي تتعرض طريق الإنسان من فترة إلى أخرى أو في مرحلة ومرحلة، هي رسالة لمزيد من الوعي والنضج، ومع كثرة التحديات تنبع الحكمة، وكثرة التجارب والإخفاقات تصقل شخصية الإنسان، وتصنع منه شخصية أقوى وأنضج وأوعى من قبل.

وإن ما يزيل الهم والضعف والاستسلام هو الإدراك بأن ما يمر به الإنسان من تجربة أو إخفاق، هو أحد العوامل التي تساعد ليكون أقوى وأنضج وأوعى من قبل^(١).

علاقة الحكمة بالحوار:

لا شك أن الحوار المثمر لا بد أن يكون مبنياً على الحكمة، وعند التأمل نجد أن من خصائص القرآن في إلزام الحجة استخدام لغة الحوار وهي طريقة مبتكرة قد اتخذها القرآن وسيلة للقصاص وعرض الأخبار فهي أدعى للفهم وأقوى في التأثير، وعند التأمل نجد أن هذه اللغة كانت تتحلى بالحكمة والموعظة الحسنة^(٢).

وكذلك دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فقد تأسست على لغة الحوار بينه وبين الآخرين، ومن سمات هذه الدعوة الحكمة

(١) ينظر: مقال بعنوان: «تحديات الحياة»، هيفاء صفوق، جريدة العربية، نشر بتاريخ ٩ أكتوبر ٢٠٢١ م.

(٢) ينظر: الجدول في إعراب القرآن (٨ / ٣٨٧).

والموعظة الحسنة والجدل بالحسنى^(١).

• خلاصة في تجارب العقلاء:

- قال ابن المبارك - رحمه الله -: «سئل عقيل ما أفضل ما أعطي العبد؟ قال: غريزة عقل»^(٢).

- كانت العرب تقول: «العقل التجارب»^(٣)، فلا يكون المرء بالمصيب في الأشياء حتى تكون له خبرة بالتجارب.

- الذي يزداد به العاقل من نماء عقله هو التقرب من أشكاله، والتباعد من أصداده؛ فعن محمد بن أبي مالك الغزي، قال: سمعت أبي يقول: جالسوا الألباء أصدقاء كانوا أو أعداء، فإن العقول تلتح العقول^(٤).

قال شعبة رحمه الله: «عقولنا قليلة، فإذا جلسنا مع من هو أقل عقلاً منا ذهب ذلك القليل، وإنني لأرى الرجل يجلس مع من هو أقل عقلاً منه فأمقته»^(٥).

- ويجب على العاقل ألا يطلب من العلم إلا أفضله، وفضل العلم في غير خير مهلكة، كما أن كثرة الأدب في غير رضوان الله موبقة،

(١) ينظر: تفسير المراغي (١٤ / ١٥٨).

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، (ص: ١٧).

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، (ص: ١٧).

(٤) المصدر السابق، (ص: ٢٥).

(٥) المصدر السابق: (ص: ٢٤).

والعاقِل لا يسعى في فنونه إلا بما أجدى عليه نفعاً في الدارين معاً، وإذا رزق منه الحظ لا ييخل بالإفادة؛ لأن أول بركة العلم الإفادة^(١).

- قال أبو حاتم: «الواجب على العاقل أن يلزم الصمت إلا أن يلزمه أن يتكلم، فما أكثر مَنْ ندم إذا نطق! وأقل مَنْ يندم إذا سكت! وأطول الناس شقاءً وأعظمهم بلاء: من ابتلي بلسان مطلق، وفؤاد مطبق»^(٢).

- والواجب على العاقل أن ينصف أذنيه من فيه، ويعلم أنه إنما جعلت له أذنان وفم واحد؛ لسمع أكثر مما يقول^(٣).

- ولسان العاقل يكون وراء قلبه، فإذا أراد القول رجع إلى القلب، فإن كان له قال، وإلا فلا، والعاقل لا يتدئ الكلام إلا أن يسأل، ولا يقول إلا لمن يقبل، ولا يُجيب إذا شوتهم، ولا يجازي إذا أسمع؛ لأن الابتداء بالصمت وإن كان حسناً، فإن السكوت عند القبيح أحسن منه، والواجب على العاقل أن يروض نفسه على ترك ما أبيع له من النطق؛ لئلا يقع في المزجورات فيكون حنقه فيما يخرج منه؛ لأن الكلام إذا كثر منه أورث صاحبه التلذُّدُ بصدِّ الطاعات^(٤).

- من شيم العاقل: الحلم، والصمت، والوقار، والسكينة، والوفاء، والبذل، والحكمة، والعلم، والورع، والعدل، والقوة، والحزم، والكياسة،

(١) روضة العقلاء، (ص: ٣٩، ٤٠).

(٢) روضة العقلاء، (ص: ٤٣).

(٣) المصدر السابق، (ص: ٤٥).

(٤) المصدر السابق: (ص: ٤٧، ٤٨).

والتمييز، والتواضع، والعفو، والإغضاء، والتعفف، والإحسان، فإذا وفق المرء لصحبة العاقل فليشد يديه به^(١).

- قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «والعقل عقلاان: عقل غزيري، وهو أب العلم ومربيه ومثمره. وعقل مكتسب مستفاد، وهو ولد العلم وثمرته ونتيجته. فإذا اجتمعا في العبد فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، واستقام له أمره، وأقبلت عليه جيوش السعادة من كل جانب، وإذا فقدهما فالحيوان البهيم أحسن حالاً منه، وإذا انفردا نقص الرجل بنقصان أحدهما»، ومن فضائل العقل كما ذكر العلامة ابن القيم أنه: «آلة كل علم وميزانه الذي يُعرف به صحيحه من سقيمه وراجحه من مرجوحه، والمرأة التي يُعرف بها الحسن والقيح»^(٢).

- وقال الإمام ابن قتيبة رحمه الله: «كل شيء محتاج إلى العقل والعقل محتاج إلى التجارب»^(٣).

- وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: «العقل ينمو بالتعلم والتحصيل والدربة والمران مع دوام العمل»^(٤).

- قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: «العقل الصحيح هو الذي يعقل صاحبه عن الوقوع فيما لا ينبغي، كما قال جل وعلا عن الكفار:

(١) المصدر السابق، (ص: ١٢٣، ١٢٤).

(٢) مفتاح دار السعادة، (ص: ١١٧).

(٣) عيون الأخبار، (ص: ٩١).

(٤) صيد الخاطر، (ص: ٤٣٢).

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾

[الملك: ١٠] أما العقل الذي لا يزرع عما لا ينبغي فهو عقل دنيوي يعيش به صاحبه، وليس هو العقل بمعنى الكلمة^(١).

- قال الإمام الماوردي رحمه الله: «قال بعض البلغاء: من حق العاقل أن يضيف إلى رأيه آراء العلماء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء، فالرأي الفردُ ربما زلَّ، والعقلُ الفردُ ربما ضلَّ»^(٢).

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي، (ص: ١٦١).

(٢) أدب الدنيا والدين، (ص: ٣٠٠).

وصف العاقل اللبيب، ونعت الفاضل الأريب

١- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: وإنَّ محبة المرء المكارم من الأخلاق وكرهته سفسافها هو نفس العقل؛ فالعقل به يكون الحظ ويؤنس الغربية وينفي الفاقة، ولا مال أفضل منه، ولا يتم دين أحد حتى يتم عقله.

والعقل اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب، والعلم باجتنب الخطأ، فإذا كان المرء في أول درجته يسمى أديباً ثم أريباً ثم لبيباً ثم عاقلاً، كما أن الرجل إذا دخل في أول حد الدهاء قيل: شيطاناً، فإذا عتا في الطغيان قيل: مardاً، فإذا زاد على ذلك قيل: عبقرياً، فإذا جمع إلى خبثه شدة شر قيل: عفريتاً، وكذلك الجاهل يُقال له في أول درجته: المائق، ثم الرقيع، ثم الأنوك، ثم الأحمق.

٢- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: العقل نوعان: مطبوع ومسموع، فالمطبوع منهما كالأرض، والمسموع كالبذر والماء، ولا سبيل للعقل المطبوع أن يخلص له عمل محصول دون أن يرد عليه العقل المسموع فينبهه من رقدته، ويطلقه من مكانه، كما يستخرج البذر والماء ما في قعور الأرض من كثرة الربيع؛ فالعقل الطبيعي من

باطن الإنسان كموضع عروق الشجرة من الأرض، والعقل المسموع من ظاهره كتدلي ثمرة الشجرة من فروعها.

٣- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: فالواجب على العاقل أن يكون بما أحيأ عقله من الحكمة أكلف منه بما أحيأ جسده من القوت؛ لأن قوت الأجساد المطاعم، وقوت العقل الحكم، فكما أن الأجساد تموت عند فقد الطعام والشراب، وذلك العقول إذا فقدت قوتها من الحكمة ماتت، والتقلب في الأمصار والاعتبار بخلق الله مما يزيد المرء عقلاً وإن عدم المال في قلبه.

٤- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: العقل دواء القلوب، ومطية المجتهدين، وبذر حراثة الآخرة، وتاج المؤمن في الدنيا، وعدته في وقوع النوائب، ومن عديم العقل لم يزد السطان عزاً، ولا المال رفعةً وقدراً، ولا عقل لمن أغفله عن آخرته، ما يجد من لذة دنياه، فكما أن أشد الزمانة الجهل، كذلك أشد الفاقة عدم العقل، والعقل والهوى متعاديان؛ فالواجب على المرء أن يكون لرأيه مسعفاً، ولهواه مسوفاً، فإذا اشتبه عليه أمران اجتنب أقربهما من هواه؛ لأن في مجانبته الهوى إصلاح السرائر وبالعقل تصلح الضمائر.

٥- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: أفضل ذوي العقول منزلة أدمهم لنفسه محاسبة، وأقلهم عنها فترة؛ فبالعقل تعمُر القلوب كما أن بالعلم تُستخرج الأحلام، وعمود السعادة العقل، ورأس العقل

الاختيار، ولو صُوِّرَ العقل صورة لأظلمت معه الشمس لنوره، فُقُرب العاقل مرجوُّ خيرُهُ على كل حال، كما أن قُرب الجاهل مخوفٌ شره على كل بال.

ولا يجب للعاقل أن يغتم؛ لأن الغم لا ينفع، وكثرته تُزري بالعقل، ولا أن يحزن؛ لأن الحزن لا يرد المرزئة، ودوامه ينقص العقل، والعاقل يحسم الداء قبل أن يُبتلى به، ويدفع الأمر قبل أن يقع فيه، فإذا وقع فيه رَضِيَ وَصَبِرَ، والعاقل لا يخيف أحداً أبداً ما استطاع، ولا يقيم على خوف وهو يجد منه مذهباً، وإذا خاف على نفسه الهوان طابت نفسه عما يملك من الطارف والتاليد مع لزوم العفاف؛ إذ هو قُطب شُعَبِ العقل.

٦- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: مَنْ حَسَنَ عَقْلُهُ وَقَبَحَ وَجْهَهُ، فقد أفقدته فضائل نفسه قبائح وجهه، ومن حسن وجهه وقل عقله، فقد أذهبت محاسن وجهه نقائص نفسه، فلا يجب للعاقل أن يغتم إذا كان معدماً؛ لأن العاقل المُقِلُّ قد يُرجى له الغنى، ولا يوثق للجاهل المكثّر ببقاء ماله، ومال العاقل عقله وما قدم من صالح عمله، وآفة العقل الصلف والبلاء المؤذي والرخاء المُفْرِط؛ لأن البلياء إذا تواترت عليه أهلك عقله، والرخاء إذا تابَع عليه أبطره، والعدو العاقل خير للمرء من الصديق الجاهل.

٧- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: فكما لا ينفع الاجتهاد بغير توفيق، ولا الجمال بغير حلاوة، ولا السرور بغير أمن، كذلك لا ينفع العقل بغير ورع، ولا الحفظ بغير عمل، وكما أن السرور تبع للأمن، والقراية تبع للمودة، كذلك المروءات كلها تبع للعقل، وعقول كل قوم على قدر زمانهم، فالعاقل يختار من العمر أحسنه وإن قل؛ فإنه خير من الحياة التكدّة وإن طال، والعقل المؤعّي غير المنتفع به كالأرض الطيبة الخراب.

والعاقل لا يبتدئ الكلام إلا أن يُسأل، ولا يكثر التمدي إلا عند القبول، ولا يُسرّع الجواب إلا عند الثبّت.

والعاقل لا يستحقر أحداً؛ لأن من استحقر السلطان أفسد دنياه، ومن استحقر الأتقياء أفسد دينه، ومن استحقر الإخوان أفسد مروءته، ومن استحقر العامّة أذهب صيانتة.

والعاقل لا يخفى عليه عيب نفسه؛ لأن من خفي عليه عيبه خفيت عليه محاسن غيره، وإن من أشد العقوبة للمرء أن يخفى عليه عيبه؛ لأنه ليس بمقلع عن عيبه من لم يعرفه، وليس بنائل محاسن الناس من لم يعرفها، وما أنفع التجارب للمبتدئ، والحال معاً.

٨- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: لا يكون المرء بالمُصيب في الأشياء حتى تكون له خبرة بالتجارب، والعاقل يكون حسن المآخذ في صغره، صحيح الاعتبار في صباه، حسن العفة عند إدراكه، رضيّ

الشمائل في شبابه، ذا الرأي والحزم في كهولته، يضع نفسه دون غايته برتوة^(١)، ثم يجعل لنفسه غايةً في كل شيء يقف عندها؛ لأن من جاوز الغاية في كل شيء صار إلى النقص.

ولا ينفع العقل إلا بالاستعمال، كما لا تنفع الأعوان إلا عند الفرصة، ولا ينفع الرأي إلا بالانتخال، كما لا تتم الفرصة إلا بحضور الأعوان، ومن لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه، أخاف أن يكون حفته في أقرب الأشياء إليه. ورأس العقل المعرفة بما يمكن كونه قبل أن يكون.

والواجب على العاقل أن يجتنب أشياء ثلاثة فإنها أسرع في إفساد العقل من النار في ييس العوسج^(٢): الاستغراق في الضحك، وكثرة التمني، وسوء التثبت؛ لأن العاقل لا يتكلف ما لا يطيق، ولا يسعى إلا لما يُدرِك، ولا يعدُّ إلا بما يقدر عليه، ولا ينفق إلا بقدر ما يستفيد، ولا يطلب من الجزاء إلا بقدر ما عنده من العناء، ولا يفرح بما نال إلا بما أجدى عليه نفعه منه.

والعاقل يبذل لصديقه نفسه وماله، ولمعرفته رِفْدَهُ ومحضره، ولعدوه عدله وبره، وللعامّة بشره وتحيته، ولا يستعين إلا بمن يحب

(١) الرتوة: الزيادة في الشرف. انظر: لسان العرب، مادة «رتو»: ٣٠٨/١٤.

(٢) العوسج: شجر من شجر الشوك، وله ثمرة حمراء مدورة كأنه خرز العقيق. انظر: لسان العرب مادة

أَنْ يَظْفَرَ بِحَاجَتِهِ، وَلَا يُحَدِّثُ إِلَّا مَنْ يَرَى حَدِيثَهُ مَغْنَمًا إِلَّا أَنْ يَغْلِبَهُ،
الاضْطِرَارَ عَلَيْهِ، وَلَا يَدَّعِي مَا يُحْسِنُ مِنَ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ فُضَائِلَ الرِّجَالِ
لَيْسَتْ مَا ادَّعَوْهَا، وَلَكِنْ مَا نَسَبَهَا النَّاسُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُبَالِي مَا فَاتَهُ مِنْ
حَطَامِ الدُّنْيَا مَعَ مَا رَزَقَ مِنَ الْحِظِّ فِي الْعَقْلِ.

٩- قَالَ أَبُو حَاتِمٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: كَفَى بِالْعَاقِلِ فَضْلًا وَإِنْ عَدِمَ
الْمَالُ بَأَنْ تُصَرَّفَ مَسَاوِي أَعْمَالِهِ إِلَى الْمَحَاسِنِ فَتُجْعَلَ الْبَلَادَةُ مِنْهُ
حِلْمًا، وَالْمَكْرُ عَقْلًا، وَالْهَذْرُ بِلَاغَةً، وَالْحِدَّةُ ذِكَاءً، وَالْعِيُّ صِمْتًا، وَالْعُقُوبَةُ
تَأْدِيبًا، وَالْجُرْأَةُ عِزْمًا، وَالْجُبْنُ تَأْتِيًا، وَالْإِسْرَافُ جُودًا، وَالْإِمْسَاكُ تَقْدِيرًا.
فَلَا تَكَادُ تَرَى عَاقِلًا إِلَّا مُوقِّرًا لِلرُّؤْسَاءِ، نَاصِحًا لِلْأَقْرَانِ، مُوَاتِيًا
لِلْإِخْوَانِ، مُتَحَرِّزًا مِنَ الْأَعْدَاءِ، غَيْرَ حَاسِدٍ لِلْأَصْحَابِ، وَلَا مُخَادِعٍ
لِلْأَحْبَابِ، وَلَا يَتَحَرَّشُ بِالْأَشْرَارِ، وَلَا يَبْخُلُ فِي الْغِنَى، وَلَا يَشْرَهُ فِي
الْفَاقَةِ، وَلَا يَنْقَادُ لِلْهَوَى، وَلَا يُجَامِعُ فِي الْغَضَبِ، وَلَا يَمْدَحُ فِي الْوَالِيَةِ،
وَلَا يَتَمَنَّى مَا لَا يَجِدُ، وَلَا يَكْتَنِزُ إِذَا وَجَدَ، وَلَا يَدْخُلُ فِي دَعْوَى، وَلَا
يُشَارِكُ فِي مِرَاءٍ، وَلَا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّى يَرَى قَاضِيًا، وَلَا يَشْكُو الْوَجْعَ
إِلَّا عِنْدَ مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ الْبُرءَ، وَلَا يَمْدَحُ أَحَدًا إِلَّا بِمَا فِيهِ؛ لِأَنَّ مَنْ مَدَحَ
رَجُلًا بِمَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَالِغٌ فِي هِجَائِهِ، وَمَنْ قَبَلَ الْمَدْحَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْهُ
فَقَدْ اسْتَهْدَفَ لِلسُّخْرِيَةِ.

وَالْعَاقِلُ يَكْرُمُ عَلَى غَيْرِ مَالٍ كَالْأَسَدِ يُهَابُ وَإِنْ كَانَ رَابِضًا، وَكَلَامُ
الْعَاقِلِ يَعْتَدِلُ اعْتِدَالَ جَسَدِ الصَّحِيحِ، وَكَلَامُ الْجَاهِلِ يَتَنَاقِضُ كَاخْتِلَاطِ

جسد المريض، وكلام العاقل وإن كان نزرًا حَظْوَةً عظيمة، كما أن مُقَارَفَةَ المآثم وإن كانت نزرًا مصيبة جليلة، وَمِنَ العَقلِ التَّثَبُّتُ فِي كلِّ عِلْمٍ قَبْلَ الدخولِ فِيهِ، وآفَةُ العَقلِ العُجْبُ، بل على العاقل أن يوطِّن نفسه على الصبر على جارِ السوءِ وعشيرِ السوءِ وجليسِ السوءِ؛ فَإِنِ ذلِكَ ممَّا لَا يُخْطِئُهُ عَلَى مَمَرِّ الأَيَّامِ.

ولا يجب للعاقل أن يُحِبَّ أَنْ يُسَمَّى بِهِ؛ لِأَنَّ مَنْ عُرِفَ بِالدهاءِ حُذِرَ، وَمَنْ عَقَلَ العَاقِلِ دَفِنَ عَقْلِهِ مَا اسْتَطَاعَ؛ لِأَنَّ البِذْرَ وَإِنِ خَفِيَ فِي الأَرْضِ أَيَّامًا؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ ظَاهِرٍ فِي أَوَانِهِ. وَكذلِكَ العَاقِلُ لَا يَخْفَى عَقْلُهُ وَإِنِ هُوَ أَخْفَى ذلِكَ جَهْدَهُ. وَأَوَّلُ تَمَكُّنِ المرءِ مِنْ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ هُوَ لُزُومُ العَقلِ.

١٠- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: أول خصال الخير للمرء في الدنيا العقل، وهو من أفضل ما وهب الله لعباده؛ فلا يجب أن يدنس نعمة الله بمجالسة من هو بضدها قائم.

والواجب على العاقل أن يكون حَسَنَ السَّمْتِ، طَوِيلَ الصَّمْتِ؛ فَإِنِ ذلِكَ مِنْ أَخْلَاقِ الأنبياءِ، كما أن سوء السَّمْتِ، وترك الصمت من شيم الأَشْقِيَاءِ. والعاقل لا يطول أمله؛ لِأَنَّ مَنْ قَوِيَ أَمَلُهُ ضَعْفَ عَقْلِهِ، وَمَنْ أَتَاهُ أَجَلُهُ لَمْ يَنْفَعِهِ أَمَلُهُ. والعاقل لا يُقَاتِلُ مَنْ غَيْرِ عُدَّةٍ، وَلَا يُخَاصِمُ بغير حُجَّةٍ، وَلَا يُصَارِعُ بغير قُوَّةٍ؛ لِأَنَّ بالعقل تحيا النفوس، وتُنَوَّرَ القلوب، وتمضي الأمور، وتُعَمَّرُ الدنيا.

والعقل يقيس ما لم يرَ من الدنيا بما قد رأى، ويُضيف ما لم يسمع منها إلى ما قد سمع، وما لم يُصب منها إلى ما قد أصاب، وما بقي من عمره بما قد فني، وما لم ينل منها بما قد أوتي، ولا يتكل العقل على المال وإن كان في تمام الحال؛ لأن المال يحلُّ ويرتحل، والعقل يُقيم ولا يبرح، ولو أن العقل شجرة لكانت من أحسن الشجر، كما أن الصبر لو كان ثمرة لكانت من أكرم الثمر، والذي يزداد به العقل من نماء عقله هو التقرب من أشكاله، والتباعد من أضداده.

١١- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: مجالسة العقلاء لا تخلو من أحد معنيين: إما تذكُر الحالة التي يحتاج العقل إلى الانتباه لها، أو الإفادة بالشيء الخطير الذي يحتاج الجاهل الى معرفتها.

فَقُرْبُ الْعَاقِلِ غُنْمٌ لِأَشْكَالِهِ، وَعِبْرَةٌ لِأَضْدَادِهِ عَلَى الْأَحْوَالِ كُلِّهَا، وَلَا يَجِبُ لِمَنْ تَسَمَّى بِهِ أَنْ يَتَدَلَّلَ إِلَّا عَلَى مَنْ يَحْتَمِلُ دَلَالَهُ، وَيُقْبَلُ إِلَّا عَلَى مَنْ يُجِبُ إِقْبَالَهِ، وَلَوْ كَانَ لِلْعَقْلِ أَبْوَانٌ لَكَانَ أَحَدُهُمَا الصَّبْرُ وَالْأُخْرُ الثَّبْتُ.

جعلنا الله ممن ركب فيه حسن وجود العقل، فسلك بتمام النعيم مسلك الخصال التي تُقربه الى باريه في داري الأمد والأبد، إنه فعّال لما يُريد.

إصلاح السرائر، والتحفظ للضمائر

١- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: الواجب على العاقل الحازم، أن يعلم أن للعقل شُعباً من المأمورات والمزجورات، لا بُدَّ له من معرفتها واستعمالها في أوقاتها لمبايئته العوامِّ وأوباش الناس بها.

فأول شُعبِ العقل هو لزوم تقوى الله وإصلاح السرائر؛ لأن من صلح جَوَانِيهِ أصلح الله بَرَانِيهِ، ومن فسَد جَوَانِيهِ أفسد الله بَرَانِيهِ.

٢- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: قُطِبُ الطاعات للمرء في الدنيا [هو] إصلاح السرائر وترك إفساد الضمائر، فالواجب على العاقل الاهتمام بإصلاح سريرته والقيام بحراسة قلبه عند إقباله وإدباره، وحرّكته وسكونه؛ لأن تكدُّر الأوقات وتَغصُّن اللذات لا يكون إلا عند فساده، ولو لم يكن لإصلاح السرائر سببٌ يؤدي العاقل إلى استعماله إلا إظهار الله على كَيْفِيَّةِ سريرته خيراً كان أو شراً، لكان الواجب عَلَيْهِ قلة الإغضاء عن تعَاهِدِهَا.

٣- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: الواجب على العاقل أن يأخذ مما عنده لِمَا بعده من التقوى والعمل الصالح بإصلاح السَّيْرَةِ ونفي الفساد عن خلل الطاعات عند إجابة القلب وإبائه، فإذا كان صحة السبيل في إقباله موجوداً، أنفذه بأعضائه، وإن كان عدم وجوده موجوداً،

كَبَحَهُ عَنْهَا؛ لِأَنَّ بَصَفَاءَ الْقَلْبِ تَصِفُوا الْأَعْضَاءَ.

٤- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: العاقل يُفْتَشُّ عقله في ورود الأوقات، ويكبح نفسه عن جميع المزجورات، ويأخذها بالقيام في أنواع المأمورات، ولزوم الانتباه عند ورود الفترة في الحالات، ولا يكون المرء يُشاهد ما قلنا قائماً، حتى يوجد [منه] صحة التثبت في الأفعال.

٥- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: العاقل يدبر أحواله بصحة الورع، ويمضى أسبابه بلزوم التقوى؛ لأن ذلك أول شُعبِ العقل، وليس إليه سبيل إلا بصلاح القلب.

ومثّل قلب العاقل إذا لزم رعاية العقل على ما نذكرها في كتابنا هذا -إن الله قضى ذلك وشاءه- كأن قلبه سُرح بسكاكين التُّقِيَّة، ثم مُلِّح بِمَلْح الخشبية، ثم جُفِّفَ برياح العظمة، ثم أُحِيِيَ بِمَاءِ القُرْبَةِ، فلا يوجد فيه إلا ما يُرضي المولى جلَّ وعَلا، ولا يُيالي المرء إذا كان بهذا النعت أن يتَّضع عند الناس، ومُحال أن يكون ذلك أبداً.

٦- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: الواجب على العاقل أن لا ينسى تعاهد قلبه بترك ورود السبب الذي يورث القساوة عَلَيْهِ؛ لأن بصلاح الملك تصلح الجنود، وبفساده تفسد الجنود، فإذا اهتم بإحدى الخصلتين تجنب أقربهما من هواه، وتوخي أبعدهما من الردى.

٧- قال أبو حاتم - رضي الله عنه -: لن تصفو القلوب من وجود الدَّرَن فيها حتى تكون الهمم في الله هَمًّا واحداً، فإذا كان كذلك كُفِيَ الهمّة في الهموم إلا الهم الذي يؤول مُتَعَبِّهُ إلى رضا الباري جل وعلا بلزوم تقوى الله في الخلوة والملا؛ إذ هو أفضل زاد العقلاء في داريهم، وأجل مَطِيَّة الحكماء في حالهم.





طلب العلم، ومتابعة الحِلْم

١- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: الواجب على العاقل إذا فرغ من إصلاح سيرته أن يتدبّر بطلب العلم والمداومة عَلَيْهِ؛ إذ لا وصول للمرء إلى صفاء شيء من أسباب هذه الدنيا إلا بصفاء العلم فيه، وحُكم العاقل أن لا يَقْصِر في سلوك حالةٍ توجب له بسْط الملائكة أجنحتها رضاً بِصَنِيْعِهِ ذلك.

ولا يجب أن يكون مُتَمَّلاً في سعيه الدُّنُو من السلاطين أو نُوَال الدنيا به، فما أقبح بالعالم التذلل لأهل الدنيا!

٢- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: العاقل لا يبيع حظ آخرته بما قَصَد في العلم لما يناله من حُطام هذه الدنيا؛ لأن العلم ليس القصد فيه نفسه دون غيره؛ لأن المُبْتَغِي من الأشياء كلها نفعها لا نفسها، والعلم ونفع العلم شيئان، فمن أعضى عن نفعه لم ينتفع بنفسه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، والعلم له أوّل وآخر.

٣- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: العاقل لا يشتغل بطلب العلم إلا وقصده العمل به؛ لأن من سعى فيه لغير ما وصفنا ازداد فخراً وتجبُّراً، وللعمل تركاً وتضييعاً، فيكون فساده في المُتَأَسِّين به فيه أكثر من فساده في نفسه، ويكون مثله كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ

بِعَيْرِ عِلْمٍ إِلَّا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٥٥﴾ [النحل: ٢٥].

٤- قال أبو حاتم - رضي الله عنه -: الواجب على العاقل مُجَانِبَةُ مَا يُدْنِسُ عَمَلَهُ من أسباب هذه الدنيا مع القصد في لزوم العمل بما قَدَرَ عَلَيْهِ ولو استعمل خمسة أحاديث من كُلِّ مِثَّتِي حديث، فيكون كأنه قد أَدَّى زكاة العِلْمِ، فمن عجزَ عَنِ العمل بما جمع من العلم فلا يجب أن يعجزَ عَنِ حِفْظِهِ.

٥- قال أبو حاتم - رضي الله عنه -: إِفْنَاءُ المرءِ عُمُرَهُ بكثرة الأسفار ومُباينة الأهل والأوطان في طلب العلم دون العمل به أو الحفظ له، ليس من شِيمِ العقلاء، ولا من زِيِّ الألباء، وإن من أجود ما يستعين المرء به على الحفظ، الطَّبْعُ الجيد مع الهِمَّةِ واجتناب المعاصي.

٦- قال أبو حاتم - رضي الله عنه -: يجب على العاقل أن لا يطلب من العلم إلا أفضله؛ لأن الازدياد من العلم آثُرٌ عند العاقل من الذكر بالعلم، والعلم زَيْنٌ في الرخاء ومنجاة في الشدة، ومن تعلَّم ازداد كما أن من حَلِمَ ساد، وَفَضَّلَ العلم في غير خير مهلكةٌ، كما أن كثرة الأدب في غير رضوان اللّهِ موبقةٌ، والعاقل لا يسعى في فُنُونِهِ إلا بما [هو] أَجْدَى عَلَيْهِ النفع في الدارين معاً، وإذا رُزِقَ منه الحظ لا ييخل بالإفادة؛ لأن أول بركة العلم الإفادة، وما رأيتُ أحداً قَطُّ بَخِلَ بالعلم إلا لم ينتفع بعلمه، وكما [أنه] لا ينتفع بالماء الساكن تحت الأرض ما لم

يَبُوع، ولا بالذهب الأحمر ما لم يُسْتَخْرَج من معدنه، ولا باللؤلؤ الثمين
ما لم يُخْرَج من بحره، كذلك لا يُتَّفَع بالعلم ما دام مكنوناً لا يُنْشَر ولا
يُفَاد.





الحِفظُ لِللسانِ، وتعهُّده عند الإظهار للبيان

١- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: الواجب على العاقل إذا رَكِبَ المطيَّتين اللَّتين ذكرتهما قبل من إصلاح السريرة ولزوم العمل أن يبلغ مجهوده حينئذٍ في حفظ اللسان حتى يستقيم له؛ إذ اللسان هو المورد للمرء موارد العَطَبِ، والصمت يُكسِبُ المحبة والوقار، ومن حَفِظَ لسانه أراح نفسه، والرجوع عن الصمت أحسن من الرجوع عن الكلام، والصمت منامُ العقل والمنطق يَقْطُهُ.

٢- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: الواجب على العاقل أن لا يغالب الناس على كلامهم، ولا يعترض عليهم فيه؛ لأن الكلام وإن كان في وقته حظوةً جليلة، فإن الصمت في وقته مرتبة عالية، ومن جهل بالصمت عَيَّ بالمنطق، والإنسان إنما هو صورة مُمَثَّلَةٌ أو ضالَّةٌ مُهْمَلَةٌ، لولا اللسان والله جل وعلا رفع درجة اللسان على سائر الجوارح، فليس منها شيء أعظم أجراً منه إذا أطاع ولا أعظم ذنباً منه إذا جنى.

٣- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: الواجب على العاقل أن يلزم الصمت إلى أن يلزمه التكلُّم؛ فما أكثر من نَدِمَ إذا نَطَقَ، وأقل من يندم إذا سَكَتَ! وأطول الناس شقاءً وأعظمهم بلاءً من ابتلي بلسانٍ مُطلق وفؤادٍ مُطبَّق.

واللسان فيه عشر خصال يجب على العاقل أن يعرفها، ويضع كل خصلة منها في موضعها، هو أداة يظهر بها البيان، وشاهد يُخبر عن الضمير، وناطق يُردُّ به الجواب، وحاكم يُفصلُ به الخطاب، وشافع تُدرِّكُ به الحاجات، وواصف تُعرِّفُ به الأشياء، وحاوِدٌ يذهبُ الصَّغِينَةُ، ونازِعٌ يُحدِّثُ المودَّةَ، ومُسلٌّ يُذَكِّي القلوبَ، ومُعزٌّ تُردُّ به الأحزان.

٤- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: الواجب على العاقل أن يكون ناطقاً كعبيٍّ، وعالماً كجاهلٍ، وساكناً كناطقٍ؛ لأن الكلام لا بُدَّ له من الجواب، والجواب لو جُعِلَ له جواب لم يَكُنْ للقول نهاية، وخروج المرء إلى ما ليس له غاية، والمُتَكَلِّمُ لا يَسْلَمُ من أن يُنسَبَ إليه الصِّلْفُ والتكَلُّفُ، والصامت لا يلزق به إلا الوقار وحُسن السَّمْتِ.

٥- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل أن يُنصِفَ أذنيه من فيه، ويعلم أنه إنما جُعِلت له أذنان وفمٌ واحدٌ لِيَسْمَعَ أكثر مما يقول؛ لأنه إذا قالَ ربما ندم، وإن لم يُقلْ لم يندم، وهو على رَدِّ ما لم يُقلْ أقدر منه على ردِّ ما قال، والكلمة إذا تكلم بها ملكته، وإن لم يتكلم بها ملكها، والعجب ممن يتكلم بالكلمة إن هي رُفِعَتْ رُبَّمَا صرَّتْ، وإن لم تُرْفَعْ لم تُصَرِّ، كيف لا يصميت، ورُبَّ كلمة سَلَبَتْ نعمة.

٦- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لو لم يكن في الصمت خصلة تُحمَدُ إلا تزيينُ العاقلِ وتسترُ الجاهلِ به، لكان الواجب على المرء أن لا

يُفَارِقُهُ الصَّمْتُ مَا وَجَدَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَمَنْ أَحَبَّ السَّلَامَةَ مِنَ الْآثَامِ فَلْيُقَلِّ
مَا يُقْبَلُ مِنْهُ، وَلْيُقَلِّ مَا يُقْبَلُ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجْتَرِيءُ عَلَى الْكَلَامِ الْكَثِيرِ
إِلَّا فَائِقٌ أَوْ مَائِقٌ.

٧- قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لِسَانَ الْعَاقِلِ يَكُونُ وِرَاءَ قَلْبِهِ،
فَإِذَا أَرَادَ الْقَوْلَ رَجَعَ إِلَى الْقَلْبِ، فَإِنْ كَانَ لَهُ قَوْلٌ وَإِلَّا فَلَا، وَالْجَاهِلُ
قَلْبُهُ فِي طَرْفِ لِسَانِهِ، مَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ تَكَلَّمَ بِهِ، وَمَا عَقَلَ دِينَهُ مِنْ
لَمْ يَحْفَظْ لِسَانَهُ، وَاللِّسَانَ إِذَا صَلَحَ تَبَيَّنَ ذَلِكَ عَلَى الْأَعْضَاءِ، وَإِذَا فَسَدَ
فَكَذَلِكَ.

٨- قَالَ أَبُو حَاتِمٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: الْعَاقِلُ لَا يَبْتَدِئُ الْكَلَامَ إِلَّا
أَنْ يُسْأَلَ، وَلَا يَقُولُ إِلَّا لِمَنْ يَقْبَلُ، وَلَا يُجِيبُ إِذَا شُوتِمَ، وَلَا يُجَازِي إِذَا
أُسْمِعَ؛ لِأَنَّ الْإِبْتِدَاءَ بِالصَّمْتِ وَإِنْ كَانَ حَسَنًا فَالسُّكُوتُ.

٩- قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْعَاقِلُ يَحْفَظُ أَحْوَالَهُ مِنْ
وَرُودِ الْخَلَلِ عَلَيْهَا فِي الْأَوْقَاتِ، وَإِنْ مِنْ أَعْظَمِ الْخَلَلِ الْمُفْسِدِ لَصِحَّةِ
السَّرَائِرِ، وَالْمَذْهَبِ لِصَلَاحِ الضَّمَائِرِ، هُوَ الْإِكْثَارُ مِنَ الْكَلَامِ، وَإِنْ أُبِيحَ
لَهُ كَثْرَةُ النُّطْقِ، وَلَا سَبِيلَ لِلْمَرْءِ إِلَى رِعَايَةِ الصَّمْتِ إِلَّا بِتَرْكِ مَا أُبِيحَ لَهُ
مِنَ النُّطْقِ.

٩- قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُرَوِّضَ
نَفْسَهُ عَلَى تَرْكِ مَا أُبِيحَ لَهُ مِنَ النُّطْقِ لِئَلَّا يَقَعَ فِي الْمَزْجُورَاتِ، فَيَكُونُ

حَتُّهُ فِيمَا يَخْرُجُ مِنْهُ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ إِذَا أُكْثِرَ مِنْهُ أَوْرَثَ صَاحِبَهُ التَّلَذُّذَ بِضِدِّ
الطَّاعَاتِ، فَإِذَا لَمْ يُوَفَّقَ الْعَبْدَ لِمَا لَمْ يَسْتَعْمَلِ اللِّسَانَ فِيمَا يُجِدِي عَلَيْهِ نَفْعُهُ
فِي الْآخِرَةِ، كَانَ وَجُودُ الْإِمْسَاكِ عَنِ السُّوءِ أَوْلَى بِهِ لِيَسْلَمَ.





لزوم الصّدق في الأوقات، ومُجانبة الكذب في الحالات

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عنه: إن الله جل وعلا فَضَّلَ اللسان على سائر الجوارح، ورفع درجته، وأبان فضيلته بِأَن أنطَقَه من بين سائر الجوارح بتوحيده، فلا يجب للعاقل أن يعود آلة خَلَقَهَا اللهُ للنطق بتوحيده بالكذب، بل يجب عَلَيْهِ المداومة على رعايته بلزوم الصدق، وما يَعُودُ نفعه عَلَيْهِ في داريه؛ لأن اللسان يقتضي مَا عُوْدَ إن صِدْقاً فِصْدَقاً، وإن كَذِباً فَكَذِباً.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عنه: كل شيء يُسْتَعَارُ لِيَتَجَمَّلَ به سَهْلٌ وُجُودُه خِلا اللسان؛ فإنه لا يُنْبِئُ إِلَّا عَمَّا عُوْدَ، والصدق يُنْجِي، والكذب يُرْدِي، ومن غَلَبَ لِسَانُه أَمْرَه قَوْمُه، ومن أكثر الكذب لم يترك لنفسه شيئاً يَصْدُقُ به، ولا يكذب إلا من هانت عَلَيْهِ نفسه.

٣- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: لو لم يكن للكذب من الشَّيْنِ إِلَّا إنزاله صاحبه بحيث لو صَدَقَ لم يُصَدَّقْ، لكان الواجب على الخلق كافة لزوم التَثَبُّتِ بالصّدق الدائم، وإن من آفة الكذب أن يكون صاحبه نسيّاً، فإنه إذا كان كذلك كان كالمُنَادِي على نفسه بالخِزي في

كل لحظة وطرفة.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللسان سَبْعُ عَقُورٍ، إِنْ صَبَطَهُ صَاحِبُهُ سَلِمَ، وَإِنْ خَلَّى عَنْهُ عَقْرَهُ، وَبِفَمِهِ يُفْتَضَحُ الكَذُوبَ، فَالعَاقِلُ لَا يَشْتَغِلُ بِالخَوْضِ فِيمَا لَا يَعْلَمُ فَيُتَّهَمُ فِيمَا يَعْلَمُ؛ لِأَنَّ رَأْسَ الذُّنُوبِ الكَذِبُ، وَهُوَ يُبْدِي الفُضَاحَ، وَيَكْتُمُ المَحَاسِنَ، وَلَا يَجِبُ عَلَى المَرءِ إِذَا سَمِعَ شَيْئاً يَعْيبُهُ أَنْ يُحَدِّثَ بِهِ؛ لِأَنَّ مَنْ حَدَّثَ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ أَرَى بَرَأِيَهُ وَأَفْسَدَ صِدْقَهُ.

٥- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الصِّدْقُ يَرْفَعُ المَرءَ فِي الدَّارَيْنِ، كَمَا أَنَّ الكَذِبَ يَهْوِي بِهِ فِي الحَالَيْنِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلصِّدْقِ خَصْلَةٌ تُحْمَدُ إِلَّا أَنَّ المَرءَ إِذَا عَرِفَ بِهِ قَبْلَ كَذِبِهِ وَصَارَ صِدْقاً عِنْدَ مَنْ يَسْمَعُهُ، لَكَانَ الوَاجِبُ عَلَى العَاقِلِ أَنْ يَبْلُغَ مَجْهُودَهُ فِي رِيَاضَةِ لِسَانِهِ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لَهُ عَلَى الصِّدْقِ وَمُجَانِبَةِ الكَذِبِ، وَالعِيُّ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ خَيْرٌ مِنَ النُّطْقِ؛ لِأَنَّ كُلَّ كَلَامٍ أَخْطَأَ صَاحِبَهُ مَوْضِعَهُ فَالعِيُّ خَيْرٌ مِنْهُ.

٦- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الوَاجِبُ عَلَى العَاقِلِ تَرْكُ الإِغْضَاءِ عَنِ تَعَاهُدِ اللِّسَانِ؛ لِأَنَّ مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَالسَّقَطُ رُبَّمَا تَعَدَّى غَيْرَهُ فَيَهْلِكُهُ فِي وَرْطَةٍ لَا حِيلَةَ لَهُ فِي التَّخَلُّصِ مِنْهَا؛ لِأَنَّ اللِّسَانَ لَا يَنْدَمِلُ جُرْحُهُ وَلَا يَلْتَمُ مَا قُطِعَ بِهِ، وَكَلَّمُ القَوْلِ إِذَا وَصَلَ إِلَى القَلْبِ

لم يُنزع إلا بعد مدة طويلة، ولم يُستخرج إلا بعد حيلة شديدة، ومن الناس من لا يُكرّم إلا للسانه، ولا يُهان إلا به، فالواجب على العاقل أن لا يكون ممن يُهان به.





لزوم الحياء

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل لزوم الحياء؛ لأنه أصل العقل وبذرُ الخير، وتركه أصل الجهل وبذرُ الشر، والحياء يدل على العقل كما أن عدمه دالٌّ على الجهل، ومن لم يُنصَفِ الناس منه حياؤه لم يُنصَفْ منهم قِحتُهُ.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الحياء اسم يشتمل على مجانية المكروه من الخصال، والحياء حَيَاءَن: أحدهما: استحياء العبد من الله جل وعلا عند الاهتمام بمباشرة ما حُظِرَ عليه. والثاني: استحياؤه من المخلوقين عند الدخول فيما يكرهون من القول والفعل معاً. والحياءان جميعاً محمودان إلا أن أحدهما فرض، والآخر فضل، فلزوم الحياء عند مجانية ما نهى الله عنه فرض، ولزوم الحياء عند مُقَارَفَةِ مَا كَرِهَ النَّاسُ فَضْلٌ.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الحياء من الإيمان، والمؤمن في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجافي في النار، إلا أن يَنْفَضَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِرَحْمَتِهِ فَيُخَلِّصَهُ مِنْهُ، فإذا لزم المرء الحياء كانت أسباب الخير منه موجودة، كما أن الوقح إذا لزم البذاء كان وجود الخير منه معدوماً، وتواتر الشر منه موجوداً؛ لأن الحياء هو الحائل بين المرء، وبين

المزجورات كلها، فبقوّة الحياء يضعف ارتكابه لها، وبضعف الحياء تقوى مباشرته إياها.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل أن يُعوّد نفسه لزوم الحياء من الناس، وإن من عَظُمَ بَرَكَتُهُ تعويد النفس ركوب الخِصال المحمودة، ومُجَانِبَتِهَا الخِلال المذمومة، كما أن من أعظم بركة الاستحياء من الله الفوز من النار بلزوم الحياء عند مجانبته ما نهى الله عنه؛ لأن ابن آدم مطبوع على الكرم واللؤم معاً في المعاملة بينه وبين الله، والعِشرة بينه وبين المخلوقين، وإذا قَوِيَ حياؤه قَوِيَ كرمه وَضَعُفَ لؤمُه، وإذا ضَعُفَ حياؤه قَوِيَ لؤمُه وَضَعُفَ كَرَمُه.

٥- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: إنَّ المرء إذا اشتدَّ حياؤه صَانَ عَرَضَهُ وَدَفَنَ مَسَاوِيَهُ وَنَشَرَ مَحَاسِنَهُ، وَمَنْ ذَهَبَ حَيَاؤُهُ ذَهَبَ سُرُورُهُ، وَمَنْ ذَهَبَ سُرُورُهُ هَانَ عَلَى النَّاسِ وَمُتَّتَ، وَمَنْ مُتَّتَ أُوْذِيَ، وَمَنْ أُوْذِيَ حَزِنَ، وَمَنْ حَزِنَ فَقَدَ عَقْلَهُ، وَمَنْ أُصِيبَ بِعَقْلِهِ كَانَ أَكْثَرَ قَوْلِهِ عَلَيْهِ لَالَهُ، وَلَا دَوَاءَ لِمَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ، وَلَا حَيَاءَ لِمَنْ لَا وِفَاءَ لَهُ، وَلَا وِفَاءَ لِمَنْ لَا إِخَاءَ لَهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ صَنَعَ مَا شَاءَ، وَقَالَ مَا أَحَبَّ.





لزوم التواضع في الأحوال

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل لزوم التواضع ومجانبة التكبر، ولو لم يكن في التواضع خَصْلَةٌ تُحْمَدُ إِلَّا أَنْ المرء كلما كثر تواضعه ازداد بذلك رفعةً لكان الواجب عليه أن لا يَتَزَيَّأَ بغيره .

والتواضع تواضعان: أحدهما محمود، والآخر مذموم، والتواضع المحمود تَرُكُ التَّطَاوُلِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ وَالْإِزْرَاءِ بِهِمْ، وَالتَّوَاضُّعُ الْمَذْمُومُ هُوَ تَوَاضُّعُ الْمَرْءِ لِذِي الدُّنْيَا رَغْبَةً فِي دُنْيَاهُ، فَالْعَاقِلُ يَلْزِمُ مُفَارَقَةَ التَّوَاضُّعِ الْمَذْمُومِ عَلَى الْأَحْوَالِ كُلِّهَا، وَلَا يَفَارِقُ التَّوَاضُّعَ الْمَحْمُودَ عَلَى الْجِهَاتِ كُلِّهَا.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: التواضع يرفع للمرء قدراً، ويعظم له خطراً، ويزيده بُبْلًا، والتواضع لله جل وعز على ضربين: أحدهما: تواضع العبد لربه عندما يأتي من الطاعات، غير مُعْجَبٍ بفعله ولا رأي له عنده حالة يوجب بها أسباب الولاية، إلا أن يكون المولى جل وعز هو الذي يَتَفَضَّلُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، وهذا التواضع هو السبب الدافع لِنَفْسِ الْعَبْدِ الْعَبْجِ عَنِ الطَّاعَاتِ.

والتواضع الآخر: هو ازدراء المرء نفسه، واستحقاره إياها عند ذكره مآقارَاف من المآثم حتى لا يرى أحداً من العالم إلا ويرى نفسه دونه في الطاعات وفوقه في الجنايات.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عنه: العاقل يلزم مجانية التكبر لما فيه من الخصال المذمومة:

إحداها: أنه لا يتكبر على أحدٍ حتى يُعجب بنفسه، ويرى لها على غيره الفضل.

والثانية: از دراؤه بالعالم؛ لأن من لم يستحقر الناس لم يتكبر عليهم، وكفى بالمُستحقر من أكرمه الله بالإيمان طغياناً.

والثالثة: منازعة الله جل وعلا في صفاته؛ إذ الكبرياء والعظمة من صفات الله جل وعلا، فمن نازعه إحديهما ألقاه في النار إلا أن يتفضل عليه بعفوه.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عنه: لا يمتنع من التواضع أحدٌ، والتواضع يُكسب السلامة ويورث الألفة، ويرفع الحقد، ويذهب الصد، وثمره التواضع المحبة كما أن ثمرة القناعة الراحة، وإن تواضع الشريف يزيد في شرفه، كما أن تكبر الوضيع يزيد في ضِعته، وكيف لا يتواضع من خُلِقَ من نُطفة مَذرة، وآخره يعود جيفةً قذرة، وهو بينهما يحمل العذرة.

٥- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أفضل الناس من تواضع عن رفعةً، وزهد عن قُدرة، وأنصف عن قُوَّة، ولا يترك المرء المتواضع إلا عند استحكام التكبر، فلا يتكبر على الناس أحد إلا عند إعجابه بنفسه، وعَجِبُ المرء بنفسه أحد حُسادِ عقله، وما رأيت أحد تكبر على من دونه إلا ابتلاه الله بالذلة لِمَن فوقه.

٦- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما استجلبت البغضة بمثل التكبر، ولا اكتسبت المحبة بمثل التواضع، ومن استطال على الإخوان فلا يَتَّقَنَّ منهم بالصفاء، ولا يجب لصاحب الكبر أن يَطْمَعَ في حُسنِ الثناء، ولا تكاد ترى تائهاً إلا وضيعاً.

فالعاقل إذا رأى من هو أكبر سنّاً منه تواضع له وقال: سبقني إلى الإسلام، وإذا رأى من هو أصغر سنّاً تواضع له وقال: سبقته بالذنوب، وإذا رأى من هو مثله عدّه أخاً، فكيف يحسن تكبر المرء على أخيه، ولا يجب استحقار أحدٍ؛ لأن العود المنبوذ ربما انتفع به فحكَّ الرجل به أذنه.

٧- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: الغفلة أخت الجهل، كما أن الفطنة أخت العقل، ومن كانت فيه غفلة ربما رقت تلك الغفلة إلى مرتبة الجهال، كما أن من حسنت فطنته ارتفع بها صاحبها إلى منازل العقلاء، ومن حفظ نفسه على نفسه من عشرة صانها عن ثلث

القادحين، وَقَفَّهَا عَلَى مَرْتَبَةِ الْمُرْتَاضِينَ، وَلَا يَجِبُ أَنْ يَجْعَلَ لِلْقَادِحِ إِلَى
نَفْسِهِ سَبِيلًا بِإِهْمَالِ أَمْرِهِ، وَإِنْ أُبِيحَ لَهُ ذَلِكَ بَعِينَهُ.



التحُّبُّ إلى الناس

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل أن يتحَبَّبَ إلى الناس بلزوم حُسْنِ الخُلُقِ، وترك سوء الخُلُقِ؛ لأنَّ الخُلُقَ الحَسَنَ يُذِيبُ الخطايا كما تُذِيبُ الشمسُ الجليدَ، وإنَّ الخُلُقَ السيِّئَ لَيُفْسِدُ العملَ كما يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ، وقد تكون في الرجل أخلاق كثيرة صالحة كلها وخلق سيئ فيفسد الخُلُقَ السيِّئَ الأخلاقَ الصالحة كلها.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حُسْنُ الخُلُقِ بذرُّ اكتساب المحبة، كما أن سوء الخُلُقِ بذرُّ استجلاب البُغْضَةِ، ومن حَسَنَ خُلُقَهُ صَانَ عِرْضَهُ، ومن سَاءَ خُلُقَهُ هَتَكَ عِرْضَهُ؛ لأنَّ سوء الخُلُقِ يورث [الحقد و] الضغائن، والضغائن إذا تمكَّنت في القلوب أورثت العداوة، والعداوة إذا ظهرت من غير صاحب الدين أهوت صاحبها إلى النار إلا أن يتداركه المولى بتفضُّل منه وعفوٍ.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: التحبُّبُ إلى الناس أسهل ما يكون وجهاً، وأظهر ما يكون بشراً، وأقصد ما يكون أمراً، وأرفق ما يكون نهياً، وأحسن ما يكون خُلُقاً، وألين ما يكون كَنَفاً، وأوسع ما يكون يداً، وأدفع ما يكون أذىً، وأعظم ما يكون احتمالاً، فإذا كان المرء بهذا النعت لا يُحزَنُ من يحبه، ولا يُفرِحُ من يحسده؛ لأنَّ من

جعل رضاه تبعاً لرضا الناس، وعاشرهم من حيث هم، استحق الكمال بالسُّؤدد.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حاجة المرء إلى الناس مع محبتهم إياه خير من غناه عنهم مع بغضهم إياه، والسبب الداعي إلى ضِدِّ محبتهم له هو التضايق في الأخلاق وسوء الخُلُق؛ لأن من ضاق خُلُقُهُ سَمَّهَ أهله و[ملَّه] جيرانه، واستثقله إخوانه، فحيثُذِ تَمَنَّوا الخلاص منه، ودعوا بالهلاك عَلَيْهِ.

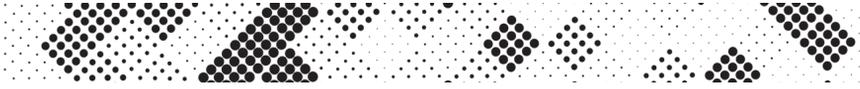
٥- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الاستثقال من الناس يكون سببه شيئين:

أحدهما: مقارفة المرء ما نهى الله عنه من المآثم؛ لأن من تعدى حُرْمَاتِ اللَّهِ أَبْغَضَهُ اللَّهُ، ومن أَبْغَضَهُ اللَّهُ أَبْغَضَتْهُ الْمَلَائِكَةُ، ثم يَوْضَعُ لَهُ الْبُغْضُ فِي الْأَرْضِ، فلا يكاد يراه أحد إلا استثقله وأبغضه والسبب الآخر: هو استعمال المرء من الخِصَالِ مَا يَكْرَهُ النَّاسُ مِنْهُ، فإذا كان كذلك استحق الاستثقال منهم.

٦- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل مُجَانِبَةُ الخِصَالِ الَّتِي تَوْرَثُهُ اسْتِثْقَالُ النَّاسِ إِيَّاهُ، وملازمة الخِصَالِ الَّتِي تُوَدِّيهِ إِلَى مَحَبَّتِهِمْ إِيَّاهُ. ومن أعظم ما يتوسل به إلى الناس ويستجلب به محبتهم، البذل لهم مما يملك المرء من حطام هذه الدنيا، واحتماله عنهم ما يكون منهم من الأذى.

فلو أن المرء صحبه طائفتان: إحداهما تحبه والأخرى تبغضه، فأحسن إلى التي تبغضه، وأساء إلى التي تحبه، ثم أصابته نكبة فاحتاج إليهما، لكان أسرعهما إلى خذلانه، وأبعدها عن نصرته الطائفة التي كانت تحبه، وأسرعهما إلى نصرته وأبعدهما عن خذلانه الطائفة التي كانت تبغضه؛ لأن الكلب إذا شبع قوي، وإذا قوي أمّل، وإذا أمّل تبع المأمول، وإذا جاع ضَعُف، وإذا ضَعُف أيس، وإذا أيس ولَّى عن المتبوع، فمن عَدِمَ المال فليَسُطِ وجهه للناس؛ فإن ذلك يقوم مقام بذل المعروف؛ إذ هو أحد طرفيه.





لزوم المداراة، وترك المداهنة

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل أن يلزم المداراة مع من دُفِعَ إليه في العِشرة من غير مُقَارَفَةِ المُداهنة؛ إذ المُداراة من المُدارِي صدَقَةٌ له، والمُداهنة مِنَ المُداهِن تكون خَطِيئَةً عَلَيْهِ.

والفصل بين المداراة والمداهنة، هو أن يجعل المرء وقته في الرياضة؛ لإصلاح الوقت الذي هو به مقيم بلزوم المداراة من غير ثَلَمٍ في الدين من جهةٍ من الجهات، فمتى مَا تَخَلَّقَ المرء بِخُلُقٍ شَابَهُ بعض مَا كَرِهَ اللَّهُ مِنْهُ فِي تَخَلُّقِهِ، فهذا هو المُداهنة؛ لا المداراة، فالعاقل يجتنب المُداهنة؛ لأن عاقبتها تصير إلى قُلٍّ ويلزَمُ المُداراة لأنها تدعو إلى صلاح أحواله، ومن لم يُدارِ الناس مَلُوهٌ.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل أن يُدارِي الزَّمان مُداراةَ [الرَّجُلِ غيرِ] السَّابِحِ في الماءِ الجاري، ومن ذهب إلى عِشرةِ الناس من حيث هو كَدَّرَ على نفسه عيشَهُ ولم تَصِفْ له مودَّتَهُمْ؛ لأن وُدَّ الناس لا يُستجلب إلا بمساعدتهم على مَا هُمْ عَلَيْهِ إلا أن يكون مأثماً، فإذا كانت حالة معصية فلا سَمْعَ ولا طاعة، والبَشْرُ قد رُكِبَ فيهم أهواءٌ مختلفة وطبائعٌ مُتباينة، فكما يشق عليك ترك مَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ، فكذلك يَشْتَقُّ على غيرِكَ مُجانبةً مِثْلَهُ، فليس إلى صفوٍ ودادِهِم سبيل إلا

بمعاشرتهم من حيث هم، والإغضاء عن مخالفتهم في الأوقات.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من التمس رضا جميع الناس التمس ما لا يُدرك، ولكن يَقْصِدُ العاقل رضا من لا يجد من معاشرته بُدًّا، وإن دَفَعَهُ الوقت إلى استحسان أشياء من العادات مما كان يستقبحها واستقباح أشياء كان يستحسنها ما لم يكن مأثماً، فإن ذلك من المداراة، وما أكثر من دارى فلم يسلم! فكيف توجد السلامة لمن لا يُداري.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من لم يُعَاشِرِ الناس على لزوم الإغضاء عمّا يأتون من المكروه وترك التوقُّع لما يأتون من المحبوب، كان إلى تكدير عيشه أقرب منه إلى صفائه، وإلى أن يدفعه الوقت إلى العداوة والبغضاء أقرب منه إلى أن ينال منهم الوداد وترك الشحنة. ومن لم يُدارِ صديق السوء كما يُداري صديق الصِّديق لم يَكُنْ بحازم.

٥- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العاقل إذا دفعه الوقت إلى صُحبة من لا يثق بصداقته أو صداقة من [لا] يثق بأخوته، فرأى من أحدهما زلة فرفضه لزلته، بقي وحيداً لا يجد من يُعَاشِرُ، فريداً لا يجد من يُخَادِنُ، بل يُغْضِي عن الأخ الصادق زلّاته، ولا يناقش الصديق السيء على عثراته؛ لأن المناقشة تلزمه في تصحيح أصل الوداد أكثر مما تلزمه في إصلاح فرعه.

لزوم المرء إفشاء السلام، والتبسم للأنام

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل أن يلزم إفشاء السلام على العالم؛ لأن من سلّم على عشرة كان له عتق رقبة، والسلام مما يذهب إفشاؤه بالمُكْمَن من الشحناء وما في الخلد من البغضاء، ويقطع الهجران ويُصافي الإخوان.

والبادئ بالسلام بين حسنتين: إحداهما: تفضيل الله جل وعلا إياه على المُسَلَّم عَلَيْهِ بفضل درجة تذكيره إياه بالسلام، وبين ردّ الملائكة عَلَيْهِ عند غفلتهم [عن الرد].

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على المسلم إذا لقي أخاه المسلم أن يُسَلِّم عَلَيْهِ مُتَبَسِّمًا إِلَيْهِ، فَإِنْ مِنْ فَعَلَ ذَلِكَ تَحَاتَّ عَنْهُمَا خَطَايَاهُمَا كَمَا تَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ فِي الشِّتَاءِ إِذَا يَبَسَّ، وَقَدْ اسْتَحَقَّ الْمُحِبَّةَ مِنَ النَّاسِ مَنْ أَعْطَاهُمْ بِشْرَ وَجْهِهِ.

٣- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: البشاشة إدام العلماء، وسجية الحكماء؛ لأن البشْرَ يُطْفِئُ نَارَ الْمُعَانَدَةِ، وَيُحْرِقُ هَيْجَانَ الْمُبَاغِضَةِ، وَفِيهِ تَحْصِينٌ مِنَ الْبَاغِي، وَمَنْجَاةٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ بَشَّ لِلنَّاسِ وَجْهًا، لَمْ يَكُنْ عَنْدهُمْ بَدُونِ الْبَاذِلِ لَهُمْ مَا يَمْلِكُ.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يجب على العاقل إذا رُزِق السلوك في ميدان طاعة من الطاعات إذا رأى من قَصَّر في سلوك قَصْدِهِ أَنْ يَعْبَسَ عَلَيْهِ بِعَمَلِهِ وَجْهَهُ بَلْ يُظْهِرِ الْبَشَرَ وَالْبَشَاشَةَ لَهُ؛ فَلَعَلَّهُ فِي سَابِقِ عِلْمِ اللَّهِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى صِحَّةِ الْأُوبَةِ إِلَى قَصْدِهِ مَعَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمْدِ لِلَّهِ وَالشُّكْرِ لَهُ عَلَى مَا وَفَّقَهُ لخدمته وَحَرَّمَ غَيْرَهُ مِثْلَهُ.





المزاح بالأقوال، وما كره من استعماله بالأفعال

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل أن يستميل قلوب الناس إليه بالمزاح وترك التعبُّس، والمزاح على ضربين: فمُزاح محمودٍ ومُزاح مذموم، فأما المزاح المحمود فهو الذي لا يشوبه ما كرهَ الله عز وجل، ولا يكون بإثم ولا قطيعة رَحِم، وأما المزاح المذموم فهو الذي يشوبه ما كرهه الله جلَّ وعلا، فالمزاح المذموم يُثير العداوة، ويذهبُ البهاء، ويقطع الصداقة، ويَجَرِّئُ الدَّنيءَ عليه، ويحقِّدُ الشريفَ به.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: المُزاح في غير طاعة الله مذهبة للبهاء، مقطعة للصداقة، يورث الضُّغنَ، ويثبِت الغِلَّ، وإنما سُمِّيَ المُزاح مُزاحاً؛ لأنه زاح عَن الحق، وكم من افتراق بين أخوين وهجران بين متآلفين كان أوَّل ذلك المُزاح.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وإن من المُزاح ما يكون سبباً لتهميج المرء، والواجب على العاقل اجتنابه؛ لأن المرء مذموم في الأحوال كلها ولا يخلو المُماري من أن يفوته أحد رجلين في المرء: إما رجل هو أعلم منه، فكيف يجادل من هو دونه في العلم؟ أو يكون ذلك أعلم منه فكيف يُماري من هو أعلم منه.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عنه: المِرَاءُ أَخُو الشَّنَانِ، كما أن المناقشة أخت العداوة، والمِرَاءُ قليل نفعه كثير شره، ومنه يكون السباب، ومن السباب يكون القتال، ومن القتال يكون هَرَاقة الدم، وما مَارَى أَحَدٌ أَحَدًا إِلَّا وَقَدْ غَيَّرَ المِرَاءُ قَلْبَيْهِمَا.

٥- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عنه: المزاح إذا كان فيه إثم فهو يسوّد [الوجه]، ويُدْمِي القلب، ويورث البغضاء، ويُحْيِي الضَّغِينَةَ، وإذا كان من غير معصية يُسَلِّي الهَمَّ، ويوقِعُ الخُلُطَةَ، ويحيي النفوس، ويُذْهِب الحِشْمَةَ؛ فالواجب على العاقل أن يستعمل من المَزَاح مَا يُنْسَبُ بفعله إلى الحلاوة، ولا ينوي به أذى أحد، ولا سرور أحد بمساءة أحد.

٦- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عنه: من مزاح أحدًا من غير جنسه هَانَ عَلَيْهِ واجترأ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ المَزَاح حَقًّا؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَا يَجِبُ أَنْ يُسَلَّكَ بِهِ غَيْرَ مَسَلِّكَه وَلَا يَظْهَرُ إِلَّا عِنْدَ أَهْلِهِ، عَلَى أَنِّي أَكْرَهُ اسْتِعْمَالَ المَزَاحِ بِحَضْرَةِ العَامَّةِ كَمَا أَكْرَهُ تَرْكَهُ عِنْدَ حُضُورِ الأَشْكَالِ.





الاعتزال عن العوام

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل لزوم الاعتزال مِنَ النَّاسِ عَامًّا مَعَ تَوْقِيٍّ مَخَالَطَتِهِمْ؛ إِذَا ائْتَزَلَ مِنَ النَّاسِ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ خَصْلَةٌ تُحَمَّدُ إِلَّا السَّلَامَةَ مِنْ مُقَارَفَةِ الْمَأْثِمِ، لَكَانَ حَقِيقًا بِالْمَرْءِ أَنْ [لَا] يُكَدَّرَ وَجُودُ السَّلَامَةِ بِلِزُومِ السَّبَبِ الْمُؤَدِّيِّ إِلَى الْمُنَاقَشَةِ.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العاقل لا يستعبد نفسه لأمثاله بالقيام في رعاية حقوقهم والتصبر على ورود الأذى منهم ما وجد إلى ترك الدخول فيه سبيلاً؛ لأنه إذا حَسَمَ عَنْ نَفْسِهِ بَابَ الْاِخْتِلَاطِ بِالْعَالَمِ وَالْمَخَالَطَةِ بِهِمْ تَمَكَّنَ مِنْ صَفَاءِ الْقَلْبِ وَعَدَمِ تَكَدُّرِ الْأَوْقَاتِ فِي الطَّاعَاتِ.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن المرء متى لم يأخذ نفسه بترك ما أُبِيحَ لَهُ، فَأَنَا خَائِفٌ عَلَيْهِ الْوُقُوعِ فِي مَا حَظَرَ عَلَيْهِ.

وأما السبب الذي يوجب الاعتزال عن العالم كافة فهو ما عرفتهم به من وجود دفن الشر ونشر الخير لأنهم يدفنون الحسنه ويظهرون السيئه، فإن كان المرء عالماً بدعوه، وإن كان جاهلاً عيروه، وإن كان فوقهم حسدوه، وإن كان دونهم حقروه، وإن نطق قالوا: مبذر؛ فالنادم في العواقب المحطوط عن المراتب من اغتر بقوم هذا نعتهم، أو غره ناس هذه صفتهم.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: العاقل يعلم أن البشر مجبولون على أخلاق متباينة وشيم مختلفة، فكل واحد يحب اتباع مساعدته وترك مخالفته فمتى رام المرء من أخيه ضد ما وطن نفسه عَلَيْهِ قلاه، وإذا تبين له منه خلاف ما أضمر عَلَيْهِ قلبه مله، ومن المالل يكون الاستثقال، ومن الاستثقال يكون البغض، ومن البغض تهيج العداوة؛ فلاشتغال بمن هذا نعتة للعاقل حمق.



لزوم المؤاخاة مع الخاص ببذل الود والمصافاة

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل أن لا يغفل عن مؤاخاة الإخوان وإعداده إياهم للنوائب والحدثان؛ لأن من تعزى عن موضع سلوته بأخيه عند الهموم والغموم كان عقله إلى التقديح أقرب ومن النماء أنقص.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل أن لا يعد في الأوداء إخاء من لم يواسه الضراء، ولم يشاركه في السراء، ورب أخي إخاء خير من أخي ولادة، ومن أتم حفاظ الأخوة تفقد الرجل أمور من يوده.

والود الصحيح هو الذي لا يميل إلى نفع، ولا يفسده منع، والمودة أمن كما أن البغضاء خوف، والعاقل لا يواخي إلا من خالفه على الهوى، وأعانه على الرأي، ووافق سره علانيته؛ لأن خير الإخوان من لم يناقش، كما أن خير الشاء ما كان على أفواه الأخيار، والمستوخم لا يؤلف، كما أن غير الثقة لا يود، فمتى ما آخى المرء من لم يصفاه بالوفاء يجب الاستظهار عَلَيْهِ بمن يسليه عنه؛ لأن التودد ممن لاتوده يعد ملقاً، ولا يفوت الإنسان في الأخوة أحد رجلين: إما أريب قصر في حقوقه فاغتاله بمكر، وإما جاهل لم يصفاه فيؤذيه بسوء معاشرته، وصيانة الأخوة ليست إلا في الاستغناء عن الإخوان.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل أن يعلم أن الغرض من المؤاخاة ليس الاجتماع والمؤاكلة والمشاركة فقط؛ لأن البغال والحمير تجتمع على المؤاكلة والمشاركة، والسراق يداخلون الرجال على التعارف ولا يزدادون بذلك مودة، ولكن من أسباب المؤاخاة التي يجب على المرء لزومها مشي القصد، وخفض الصوت، وقلة الإعجاب، ولزوم التواضع وترك الخلاف.

ولا يجب للمرء أن يكثر على إخوانه المؤونات فيبر مهم؛ لأن المريض إذا كثر مصه ربما ضجرت أمه فتلقيه. ولا ينبغي لمن قدر أن يمنع أخاه شيئاً يحتاج إليه ليحبر به مصيبته أو يفرج به كربته، والعاقل لا يؤاخي لئماً؛ لأن اللئيم كالحية الصماء لا يوجد عندها إلا اللدغ والسم، ولا يصل اللئيم ولا يؤاخي إلا عن رغبة أو رهبة، والكريم يود الكريم على لقية واحدة ولو لم يلتقيا بعدها أبداً.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: العاقل يتفقد ترك الجفاء مع الإخوان، ويراعي محوها إن بدت منه ولا يجب أن يستضعف الجفوة اليسيرة؛ لأن من استصغر الصغير أو شك أن يجمع إليه صغيراً، فإذا الصغير كبير بل يبلغ مجهوده في محوها؛ لأنه لا خير في الصدق إلا مع الوفاء، كما لا خير في الفقه إلا مع الورع، وإن من أخرق الخرق التماس المرء الإخوان بغير وفاء، وطلب الأجر بالرياء، ولا شيء أضيع من مودة تمنح من لا وفاء له، وصنوعة تصطنع عند من لا يشكرها.

٥- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: العاقل لا يؤاخي إلا إذا فضل في الرأي والدين والعلم والأخلاق الحسنة، ذا عقل نشأ مع الصالحين؛ لأن صحبة بليد نشأ مع العقلاء خير من صحبة لبيب نشأ مع الجهال.

ورأس المودة الاسترسال، وأفتها الملاله، ومن أضع تعاهد الود من إخوانه حرم ثمرة إخوانهم، وآيس الإخوان من نفسه، ومن ترك الإخوان مخافة تعاهد الود يوشك أن يبقى بلا أخ، كما أن من ترك نزع الماء إشفاقاً على رشائه يوشك أن يموت عطشاً. والعاقل يستخبر أمور إخوانه قبل أن يؤاخيهم، ومن أصح الخبرة للمرء وجود حالته بعد هيجان الغضب.

٦- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: من لم ينصفك عند غضبه لم يودك أيامه، وليس الصديق كالمراة يطلقها المرء إذا شاء، ولا كالجارية يبيعها متى أحب، لكنه عرضه ومروءته، فالتثبت والاتقاد أولى به من التهاجر والانقطاع، ومن غاب عنه أخوه فلا يغب عما يجب له عليه، وليكثر منهم عدة للشدائد؛ لأن الشعر مع دقته إذا جمع عمل منه الحبل الغليظ الذي يقهر الفيل المغتلم ولا يصلح أن يكون رفيقاً من لم يزدرد ريقاً.

٧- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات في كتاب «مراعاة العشرة» فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب، فالواجب على العاقل أن يعلم أنه ليس من السرور شيء يعدل

صحبة الإخوان، ولا غم يعدل غم فقدهم، ثم يتوقى جهده مفسدة من صافاه، ولا يسترسل إليه فيما يشينه.

وخير الإخوان من إذا عظمته صانك، ولا يعتب أخاه على الزلة، فإنه شريكه في الطبيعة، بل يصفح ويتكبر مُحاسِدة الإخوان؛ لأن الحسد للصديق من سقم المودة، كما أن الجود بالمودة أعظم البذل؛ لأنه لا يظهر ود مستقيم من قلب سقيم، وليحذر المرء في إخائه ألم التثقل على أخيه؛ لأن من ثقل على صديقه خف على عدوه، وإن من أعظم المؤونة على تسلية الهم الرضا بالقضاء ولقي الإخوان.





مجانبة المعادة، مع مباينة الإظهار للمناواة

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عنه: الواجب على العاقل أن يعلم أن من يوده لم يحسده، ومن لم يحسده لم يعاده، فيكون للعدو المكاتم أشد حذراً منه للعدو المبارز، ومن وجد عنده مغترا وكان ممن لا يعفو ثم لم ينتصف منه، أصابته الندامة، والرأي إذا كان من الأريب كان أبلغ في هلاك العدو من عدد كثير من الجنود، وترك العداوة على الأحوال كلها أحوط للعاقل من الخوض في سلوكها.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عنه: لا يجب على العاقل أن يكافئ الشر بمثله، وأن يتخذ اللعن والشتيم على عدوه سلاحاً؛ إذ لا يستعان على العدو بمثل إصلاح العيوب وتحصين العورات حتى لا يجد العدو إليه سبيلاً.

والعاقل لا يرحم من يخافه، ولا يترك إحصاء معائب العدو، وتفقد عوراته وعثراته مع السكوت عن ثلبه، ولا يستضعف عدواً بحيلة؛ لأن من استضعف الأعداء اغتر، ومن اغتر لم يسلم، اللهم إلا أن يكون العدو ذليلاً، فإذا كان كذلك عطف عَلَيْهِ بِالْإِغْضَاءِ، لأن العدو الذليل أهل أن يرحم، كما أن المستجير الخائف أهل أن يؤمن، والمعادة للعاقل خير من المصافاة للجاهل.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العاقل يبصر مواقع خطواته قبل أن يضعها، ثم يقارب عدوه بعض المقاربة لينال حاجته، ولا يقاربه كل المقاربة فيجتري عَلَيْهِ. والعاقل لا يعادي ما وجد إلى المحبة سبيلاً، ولا يعادي من ليس له به يدان، لأن العدو الحنق الذي لا يطاق؛ ليس له حيلة إلا الهرب منه، وحيلة السبيل إلى القدرة على العدو وجود الغرة فيه، وأن يرى العدو أنه لا يتخذه عدواً ثم يصادق أصدقاءه، فيدخل بينه وبينهم.

وأحزم الأمور في أمر العدو أن لا يذكره بسوء إلا عند الفرصة، وإن من أيسر الظفر بالأعداء اشتغال بعضهم ببعض، وإن مما يستعين به المرء على عدوه مجانبة من يعاشره ويصحب عدوه.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العاقل لا يأمن عدوه على كل حال إن كان بعيداً لم يأمن مغادرته، وإن كان قريباً لم يأمن موابته، والعاقل لا يخاطر بنفسه في الانتقام من عدوه؛ لأنه إن هلك في قصده قِيلَ: أضاع نفسه. وإن ظفر قِيلَ: القضاء فعله.

والمعاداة بعد الخلة فاحشة عظيمة لا تليق بالعاقل ارتكابها؛ فإن دفعه الوقت إلى ركوبها ترك للصالح موضعاً.

٥- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العاقل لا يعادي على الحالات كلها لأن العداوة لا تخلو من أن تكون لأحد رجلين: إما حلیم لا يؤمن مكره أو جاهل لا يؤمن شتمه. ولا يجب على العاقل إذا عادى أن يغيره

إحسانه إلى عدوه ما يرى من سكونه إليه؛ فإن الماء وإن أطيل إسخانه ليس بمانعه ذلك من إطفاء النار إذا صب عليها، ولا يجب أن يعظم عَلَيْهِ حملته عدوه على عاتقه إذا وثق بحسن عاقبته؛ لأن اللين والمكر أنكى في العدو من الفظاظة والمكابرة؛ ألا ترى إلى النار مع حرها لا تحرق من الشجر إلا ما ظهر، والماء مع برده ولينه يستأصلها ومجانبة المرء عدوه في العشرة أحد الأعوان عليه عند الفرصة.

٦- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العاقل لا يغيره إلزاق العدو به العيوب والقبائح؛ لأن ذلك لا يكون له وقع، ولا لكثرتة ثبات، ولا يلتذ المرء ما دام عدوه باقياً، كما لا يجد السقيم طعم النور والطعام حتى يبرأ.

وأشد مكيده العدو وما يعمل فيك من سبيل مأمئك، والغالب بالشر مغلوب، وإن من أعظم الأعوان على الأعداء تعاهد المرء ولده وعياله وخدمه وتوقيه إياهم على المعائب والزلات.





صحبة الأخيار

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العاقل يلزم صحبة الأخيار، ويفارق صحبة الأشرار؛ لأن مودة الأخيار سريع اتصالها بطيء انقطاعها، ومودة الأشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها، وصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار، ومن خادن الأشرار لم يسلم من الدخول في جملتهم، فالواجب على العاقل أن يجتنب أهل الريب لئلا يكون مريباً، فكما أن صحبة الأخيار تورث الخير، كذلك صحبة الأشرار تورث الشر.

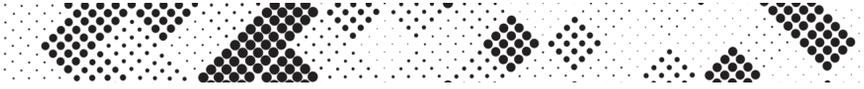
٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العاقل لا يندس عرضه، ولا يعود نفسه أسباب الشر بلزوم صحبة الأشرار، ولا يغضي عن صيانة عرضه ورياضة نفسه بصحبة الأخيار، على أن الناس عند الخبرة يتبين منهم أشياء ضد الظاهر منها.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العاقل لا يصاحب الأشرار؛ لأن صحبة صاحب السوء قطعة من النار تعقب الضغائن، لا يستقيم وده ولا يفي بعهده، وإن من سعادة المرء خصالاً أربعاً: أن تكون زوجته موافقة، وولده أبراراً، وإخوانه صالحين، وأن يكون رزقه في بلده.

وكل جليس لا يستفيد المرء منه خيراً تكون مجالسة الكلب خيراً من عشرته، ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم كما أن من يدخل مداخل السوء يتهم.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل أن يستعيز بالله من صحبة من إذا ذكر الله لم يعنه، وإن نسي لم يذكره، وإن غفل حرضه على ترك الذكر، ومن كان أصدقاؤه أشرارا كان هو شرهم، وكما أن الخير لا يصحب إلا البررة، كذلك الردى لا يصحب إلا الفجرة، فإن المرء إذا اضطره الأمر فليصحب أهل المروءات.





كراهية التلون بين المتأخيين

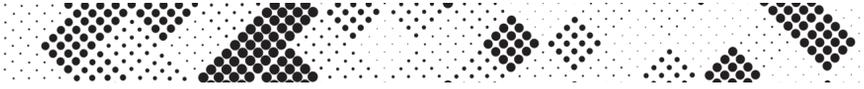
١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل إذا رزقه الله وَدَّ امرئ مسلم صحيح الوداد، محافظ عَلَيْهِ أن يتمسك به، ثم يوطن نفسه على صِلته إن صرّمه، وعلى الإقبال عَلَيْهِ إن صد عنه وعلى البذل له إن حرمه، وعلى الدُّنُوّ منه إن باعده، حتى كأنه رُكْنٌ من أركانه، وإن من أعظم عيب المرء تلونه في الوداد.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العاقل لا يُقَصِّر في تعاهد الوداد، ولا يكون ذا لوتين وذا قلبين، بل يُوافق سرّه علانيته، وقوله فعله، ولا خير في متأخيين ينمو بينهما الخلل، ويزيد في حالهما الدَّغْل.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العاقل لا يُصادق المتلون، ولا يُؤاخي المُتقلّب، ولا يظهر من الوداد إلا مثل ما يُضمِر، ولا يُضمِر إلا فوق ما يُظهِر، ولا يكون في النوائب عند القيام بها إلا ككونه قبل إحداثها والدخول فيها؛ لأنه لا يُحمَد من الإخاء ما لم يكن كذلك.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن من أعظم الأمارات على [معرفة] صحة الوداد وسَقَمه، ملاحظة العين إذا لحظت العين؛ فإنها لا تكاد تُبدي إلا ما يُضمِر القلب من الودِّ، ولا يكاد يخفي ما يُجِنُّه الضمير

من الصّدِّ، فالعاقِلُ يعتبر الود بقلبه وعين أخيه، ويجعل له بينهما مسلكاً
لا يردّه عن معرفة صحته شيء تخيّل.



تعارُف الأرواح للائتلاف، وما يُعلم تناكُرُها للاختلاف

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عنه: سبب ائتلاف الناس وافتراقهم بعد القضاء السابق هو تعارُف الروحين وتناكُرهما، فإذا تعارف الروحان وُجِدَت الألفة من نفسيهما، وإذا تناكر الروحان وُجِدَت الفُرقة من جسميهما.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عنه: إن من أعظم الدلائل على معرفة ما فيه المرء من تقلبه وسكوئه، هو الاعتبار بمن يُخادنه ويودّه؛ لأن المرء على دين خليله، وطير السماء على أشكالها تقع، وما رأيت شيئاً أدلّ على شيء، ولا الدخان على النار، مثل الصاحب على الصاحب.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عنه العاقل يجتنب مما شاة المُريب في نفسه، ويُفارق صحبة المتهم في دينه؛ لأن من صحب قوماً عُرِف بهم، ومن عاشراًً أُمرأً نُسب إليه، والرجل لا يصاحب إلا مثله أو شكله، فإذا لم يجد المرءُ بُدأً من مصاحبة الناس تحرىَّ صحبة من إذا صحبه زانه ولم يشنه إذا عُرِف به، وإن رأى منه حسنةً عدّها، وإن رأى منه سيئةً سترها، وإن سكت عنه ابتدأه، وإن سأله أعطاه. فأما اليوم فأكثر أحوال الناس تكون ظواهرها بخلاف بواطنها.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن من الناس من إذا رآه المرء يُعَجَّب به، فإذا ازداد به علماً ازداد به عجباً، ومنهم من يبغضه حين يراه، ثم لا يزداد به علماً إلا ازداد له مقتاً، فاتفاقهم يكون باتفاق الروحين قديماً، وافتراقهم يكون بافتراقهما، وإذا ائتلفا ثم افترقا فراق حياةٍ من غير بُغْضٍ حادث أو فراق مماتٍ فهُنَالِكَ الموت الفظيع، والأسف الوجيع، ولا يكون موقف أطول غُمَّةً، ولا أظهر حسرةً، ولا أدوم كآبةً، ولا أشد تأسُفاً، ولا أكثر تلَهُفاً من موقف الفراق بين المتأخيين، وما ذاق ذائقُ طعماً أَمَرَ من فراق الخَلِينِ وانصرام القرنين.

٥- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: السبب المؤدي إلى إظهار الجزع عند فراق المتأخيين هو ترك الرضا بما يوجب القضاء، ثم ورود الشيء على مُضَمَّر الحشا بصدِّ ما انطوى عَلَيْهِ قديماً، فمن وطَّن نفسه في ابتداء المُعاشرة على ورود ضِدِّ الجميل عليها من صُحبتِه، وتأمُّل ورود المكروه منه على غفلته، لا يُظهِر الجزع عند الفراق، ولا يشكو الأسف والاحترق، إلا بمقدار ما يوجب العِلْم إظهاره. ولقد أولع بجماعة الفراق حتى إنهم خرجوا إلى ثلب الطيور وقَدَحِ الدَّمْن، وتأوَّلوا العن نوح عَلَيْهِ السَّلام الغراب.





التكُّفُّ لزيارة الإخوان والأصحاب

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عنه: الواجب على العاقل تعاهُد الزيارة للإخوان، وتفْقُد أحوالهم، لأن الزائر في قصده الزيارة يشتمل على مُصادفة معنيين:

أحدهما: استكمال الذُّخر في الآجِل بفعله ذلك، وقد قال بعض القدماء: إن الرجل إذا زار أخاه في الله لم يبق في السماء مَلَكٌ إلا حيَّاه بتحيَّة مُستأنفة لا يُحيِّيه مَلَكٌ مثله ولم تبق شجرة من شجر الجنة إلا نادت صاحبتهَا: ألا إن فلان ابن فلان زار أخاه في الله. والآخر: التلذُّذ بالمؤانسة بالأخ المَزور مع الانقلاب بغنيمتين معاً.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عنه الناس في الزيارة على ضربين:

فمنهم من صَحَّ الحال بينه وبين أخيه وتعرَّى عن وجود الخلل وورود النقص فيه، فإذا كان بهذا النعت أحببت له الإكثار من الزيارة، والإفراط في الاجتماع لأن الإكثار من الزيارة بين من هذا نعته لا يورث المَلالة، والإفراط في الاجتماع بين من هذه صفته يزيد في المؤانسة.

والضرب الآخر من لم يستحكِم الوُدَّ بينه وبين من يؤاخيه، ولا أدأهما الحال إلى ارتفاع الحِشمة بينهما فيما يتبدلان لمهتيتهما، فإذا

كان بهذا النعت أحببت له الإقلال من الزيارة؛ لأن الإكثار منها بينهما يؤدي إلى المَلالة، وكل مبدول مملول، وكل ممنوع ملذوذ.

وقد روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبار كثيرة تصرح بنفي الإكثار من الزيارة حيث يقول: «زُرْ غَبًّا تَزِدُّ حُبًّا»^(١) إلا أنه لا يصح منها خبر من جهة النقل، فتنكَّبنا عن ذكرها وإخراجها في الكتاب، وإليها ذهب بعض الناس حتى ذكروها في أشعارهم

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من صَحَّحَ الحال بينه وبين الإخوان لم يَضُرَّهُ كثرة الالتقاء، ولا يضره قلة الاجتماع لاستحكام الحال بينهما، والمودة إذا أَضَرَّ بها قِلَّةُ الالتقاء تكون مدخولة. وأما من لم يحلَّ في نفس صِحَّة الحال ولم يستحکم أسباب الوداد، فالتَّوَقِّي من الإكثار في الزيارة أولى به لئلا يُسْتَثقل ولا يُمَل.



(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه: ٢/٣٨٦، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان: ٢/٨٣.



صُحْبَةُ الْجَاهِلِ الْأَحْمَقِ

١- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: الواجب على العاقل ترك
صُحْبَةِ الْأَحْمَقِ، ومجانبة معاشرَةِ النَّوْكَى، كما يجب عَلَيْهِ لزوم صُحْبَةِ
العاقل الأريب وعِشْرَةِ الْفَطْنِ اللَّيْبِ؛ لأن العاقل وإن لم يُصْبِكَ الحظ
من عَقْلِهِ أَصَابَكَ من الاعتبار به، والأحمق إن لم يُعِدِكَ حُمُقَهُ تَدَنَّسْتَ
بعِشْرَتِهِ .

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من علامات الحُحْمَقِ التي
يجب للعاقل تَفْقُدها ممن خَفِيَ عَلَيْهِ أمره: سرعة الجواب، وترك
التُّبُّتِ، والإفراط في الضحك، وكثرة الالتفات، والوقعة في الأخطاء،
والاختلاط بالأشرار.

والأحمق إذا عَرَضَتْ عَنْهُ اغْتَمٌّ، وإن أقبلت عَلَيْهِ اغْتَرَّ، وإن حَلَمْتَ
عنه جَهَلْ عليك، وإن جَهَلْتَ عَلَيْهِ حَلَمَ عنك، وإن أسأت إليه أحسن
إليك، وإن أحسنت إليه أساء إليك، وإذا ظلمته انتصفت منه، ويظلمك
إذا أنصفته.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أظلم الظلمات الحمق كما أن
أنفذ البصائر العقل، فإذا امتحن المرء بعشرة الأحمق، كان الواجب عَلَيْهِ

اللزوم لأخلاق نفسه، والمباينة لأخلاقه مع الإكثار من الحمد لله على ما وهب له من الانتباه لما حرم غيره من التوفيق له، فإن جرى الأحمق في صحبتته ميدانه في عشرته فالواجب على العاقل لزوم السكوت عنه حينئذ في أوقاته.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وإن من الحمقى من لا يصدده عَن سلوكه السكوت عنه، ولا يدفعه عَن دخول المكامن الإغضاء عنه ولا ينفعه فالعاقل إذا امتحن بعشرة من هذا نعته تكلف بعض التجاهل في الأحيين، لأن بعض الحلم إذعان، كما أن استعماله في بعض الحالات قطب العقل.

٥- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ومن شيم الأحمق العجلة والخفة والعجز والفجور والجهل والمقت والوهن والمهابة والتعرض والتحاسد والظلم والخيانة والغفلة والسهو والغبي والفحش والفخر والخيلاء والعدوان والبغضاء.

وإن من أعظم أمارات الحمق في الأحمق لسانه؛ فإنه يكون قلبه في طرف لسانه، ما خطر على قلبه نطق به لسانه. والأحمق يتكلم في ساعة بكلام يعجز عنه سبحانه وائل، ويتكلم في الساعة الأخرى بكلام لا يعجز عنه باقل.

والعاقل يجب عَلَيْهِ مجانبة من هذا نعته، ومخالطة من هذه صفته؛ فإنهم يجترئون على من عاشرهم، ألا ترى الزط ليسوا هم بأشجع

الناس، ولكنهم يجترئون على الأسد لكثرة ما يرونها.

٦- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الأحمق يتوهم أنه أعقل من ركب فيه الروح، وأن الحمق قسم على العاقل غيره والأحمق مبغض في الناس مجهول في الدنيا، غير مرضى العمل، ولا محمود الأمر عند الله وعند الصالحين، كما أن العاقل محبب إلى الناس، مسود في الدنيا، مرضى العمل عند الله في الآخرة وعند الصالحين في الدنيا.

٧- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وإن من شيم العاقل: الحلم والصمت، والوقار والسكينة، والوفاء والبذل، والحكمة والعلم، والورع والعدل، والقوة والحزم، والكياسة والتمييز، والسمت والتواضع، والعفو والإغضاء، والتعفف والإحسان، فإذا وفق المرء لصحبة العاقل فليشد يديه به ولا يزايله على الأحوال كلها، والواجب على العاقل أن لا يصحب بحيلة من لا يستفيد منه خيراً





الزجر عن سوء الظن والتجسس

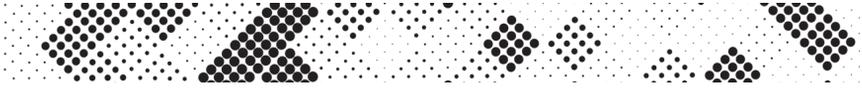
١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه، فإن من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح بدنه، ولم يتعب قلبه، فكلما اطلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه، وإن من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمى قلبه وتعب بدنه وتعذر عليه ترك عيوب نفسه، وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم، وأعجز منه من عابهم بما فيه، ومن عاب الناس عابوه.

٢- قال أبو حاتم رضى الله عنه: التجسس من شعب النفاق، كما أن حسن الظن من شعب الإيمان، والعاقل يحسن الظن بإخوانه، وينفرد بغمومه وأحزانه، كما أن الجاهل يسيء الظن بأعدائه ولا يفكر في جنائياته وأشجانه.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الظن على ضربين: أحدهما منهى عنه بحكم النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والضرب الآخر مستحب. فأما الذي نهى عنه فهو استعمال سوء الظن بالمسلمين كافة على ما تقدم ذكرنا له، الذي يستحب من سوء الظن فهو لمن بينه وبينه عداوة أو شحنة في دين أو دنيا يخاف على نفسه مكرهه، فحينئذ يلزمه سوء الظن بمكائده ومكره؛ لئلا يصادفه على غرة بمكره فيهلكه.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل مباينة العامة في الأخلاق والأفعال بلزوم ترك التجسس عَن عيوب الناس؛ لأن من بحث عَن مكنون غيره بحث عَن مكنون نفسه، وربما طمر مكنونه على مَا بحث من مكنون غيره، وكيف يستحسن مسلم ثلب مسلم بالشيء الذي هو فيه.





الزجر عن لزوم الحرص للعاقل

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ركب الله جل وعلا في البشر الحرص والرغبة في الدنيا الفانية، لئلا تخرب؛ إذ هي دار الأبرار، ومكسب الأتقياء، وموضع زاد المؤمنين، واستجلاب الميرة للصالحين، ولو تعرى الناس عن الحرص فيها بطلت وخربت، فلم يجد المرء ما يستعين به على أداء فرائض الله، فضلاً عن اكتساب ما يجدي عليه النفع في الآخرة نفعاً، والإفراط في الحرص مذموم.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً، وأفقر الفقراء من كان الحرص عليه أميراً، لأن الحرص سبب لإضاعة الموجود عن مواضعه. والحرص محرمة كما أن الجبن مقتلة، ولو لم يكن في الحرص خصلة تدم إلا طول المناقشة بالحساب في القيامة على ما جمع، لكان الواجب على العاقل ترك الإفراط في الحرص.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الحرص غير زائد في الرزق، وأهون ما يعاقب الحريص بحرصه أن يمنع الاستمتاع بما عنده من محصوله، فيتعب في طلب ما لا يدري أيلحقه أم يحول الموت بينه وبينه، ولو لزم الحريص ترك الإفراط فيه واتكل على خالق السماء،

لأتحفه المولى جل وعلا بإدراك ما لا يسعى فيه، والظفر بما لو سعى فيه وهو حريص عسى لتعذر عليهِ وجوده.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الحرص علامة الفقر، كما أن البخل جلباب المسكنة، والبخل لقاح الحرص، كما أن الحمية لقاح الجهل، والمنع أخو الحرص، كما أن الأنفة توأم السفه.

٥- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لاحظ في الراحة لمن أطاع الحرص؛ إذ الحرص سائق البلايا، فالواجب على العاقل أن لا يكون بالمفرط في الحرص في الدنيا فيكون مذموماً في الدارين، بل يكون قصده لإقامة فرائض الله، ويكون لبغيته نهاية يرجع إليها؛ لأن من لم يكن لقصده منها نهاية آذى نفسه، وأتعب بدنه. فمن كان بهذا النعت فهو من الحرص الذي يحمد.





الزجر عن التحاسد والبغضاء

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل مجانبة الحسد على الأحوال كلها؛ فإن أهون خصال الحسد هو ترك الرضا بالقضاء، وإرادة ضد ما حكم الله جل وعلا لعباده، ثم انطواء الضمير على إرادة زوال النعم عن المسلمين. والחסاد لا تهدأ روحه، ولا يسكن قلبه، ولا يستريح بدنه إلا عند رؤية زوال النعمة عن أخيه، وهيئات أن يساعد القضاء ما للحساد في الأحشاء.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا يوجد من الحسود أمان أحرز من البعد منه؛ لأنه ما دام مشرفاً على ما خصصت به دونه لم يزد ذلك إلا وحشة وسوء ظن بالله عز وجل، ونماء للحسد فيه، فالعاقل يكون على إماتة الحسد بما قدر عَلَيْهِ أحرص منه على تربيته، ولا يجد لإماتته دواء أنفع من البعاد؛ فإن الحاسد ليس يحسدك على عيب فيك، ولا على جناية ظهرت منك، ولكن يحسدك لما ركب فيه من ضد الرضا بالقضاء.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: العاقل إذا خطر بباله ضرب من الحسد لأخيه أبلغ المجهود في كتمانته، وترك إبداء ما خطر بباله.

وأكثر ما يوجد الحسد من الأقران أو من تقارب الشكل؛ لأن الكتبة لا يحسدها إلا الكتبة، كما أن الحجبة لا يحسدها إلا الحجبة، ولن يبلغ المرء مرتبة من مراتب هذه الدنيا إلا وجد فيها من يبغضه عليها أو يحسده فيها، والحاسد خصم معاند لا يجب للعاقل أن يجعله حكماً عند نائبة تحدث؛ فإنه إن حكم لم يحكم إلا عَلَيْهِ، وإن قصد لم يقصد إلا له، وإن حرم لم يحرم إلا حظه، وإن أعطى أعطى غيره، وإن قعد لم يقعد إلا عنه، وإن نهض لم ينهض إلا إليه، وليس للمحسود عنده ذنب إلا النعم التي عنده؛ لأنه عدو النعم. فليحذر المرء ما وصفت من أشكاله وأقرانه وجيرانه وبنى أعمامه.

٤- قال أبو حاتم رضي الله عنه: الحسد من أخلاق اللئام، وتركه من أفعال الكرام، ولكل حريق مطفى، ونار الحسد لا تطفأ، ومن الحسد يتولد الحقد، والحقد أصل الشر، ومن أضمر الشر في قلبه أنبت له نباتاً مرّاً مذاقه، نماؤه الغيظ وثمرته الندم.

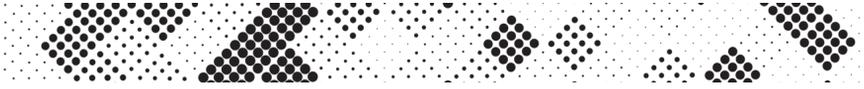
٥- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بئس الشعار للمرء الحسد؛ لأنه يورث الكمد، ويورث الحزن، وهو داء لا شفاء له. والحاسد إذا رأى بأخيه نعمة بهت، وإن رأى به عثرة شمت، ودليلها ما في قلبه مكن على وجهه مبین، وما رأيت حاسداً سالم أحداً.

والحسد داعية إلى النكد، ألا ترى إبليس حسد آدم، فكان حسده نكداً على نفسه، فصار لعينا بعدما كان مكيناً، ويسهل على المرء ترضي

كل ساخط في الدنيا حتى يرضى إلا الحسود؛ فإنه لا يرضيه إلا زوال
النعمة التي حسد من أجلها.

٦- قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجب على العاقل الحليم
أن يوطن نفسه على تحمل مقاساة ألم الحسد من الحاسد، وأكثر ما
يوجد الحسد من الجيران والإخوان إذا تعرّوا عن الديانة، ولزوم أسباب
الصيانة، ثم في الأقارب، إذ الأقارب في الحقيقة عقارب الإنس، عصمه
الله وحاد به عن أمثالها، ثم في أهل الصناعة، الذين لم يسلكوا مسلك
ذوي الحجاء، ولا راموا محل أولي النهى، في مجانبة الدين في الأحوال،
ولزوم ضده في الأعمال.





مجانبة الغضب

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أحسن العقلاء من لم يجرّد، وأحضر الناس جواباً من لم يغضب، وسرعة الغضب أنكى في العاقل من النار في ييس العوسج؛ لأن من غضب زايه عقله، فقال ما سولت له نفسه، وعمل ما شأنه وأرداه.

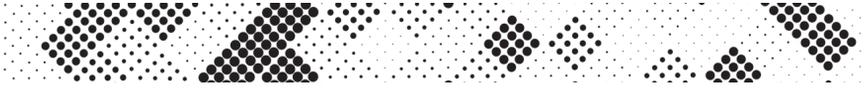
٢- قال أبو حاتم رضى الله عنه: سرعة الغضب من شيم الحمقى، كما أن مجانبته من زي العقلاء، والغضب بذر الندم؛ فالمرء على تركه قبل أن يغضب أقدر منه على إصلاح ما أفسد به بعد الغضب.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل إذا ورد عَلَيْهِ شَيْءٌ بَضْدَ مَا تَهَوَّاهُ نَفْسُهُ أَنْ يَذَكَرَ كَثْرَةَ عَصِيَانِهِ رَبَّهُ، وَتَوَاتُرَ حَلْمِ اللَّهِ عَنْهُ، ثُمَّ يَسْكُنُ غَضْبَهُ، وَلَا يَزِرِي بِعَقْلِهِ بِالْخُرُوجِ إِلَى مَا لَا يَلِيقُ بِالْعُقْلَاءِ فِي أَحْوَالِهِمْ مَعَ تَأْمَلٍ وَفُورِ الثَّوَابِ فِي الْعَقْبَى بِالْإِحْتِمَالِ وَنَفْيِ الْغَضْبِ.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو لم يكن في الغضب خصلة تدم إلا إجماع الحكماء قاطبة على أن الغضبان لا رأي له، لكان الواجب عَلَيْهِ الاحتيال لمفارقته بكل سبب. والغضبان لا يعذره أحد في طلاقه ولا عتاقه، ومن الفقهاء من عذر السكران في الطلاق والعتاق، والخلق

مجبولون على الغضب والحلم معاً، فمن غضب وحلم في نفس الغضب، فإن ذلك ليس بمذموم ما لم يخرج غضبه إلى المكروه من القول والفعل على أن مفارقتة في الأحوال كلها أحمد.





الزجر عن الطمع إلى الناس، بمجانبة التذلل واليأس

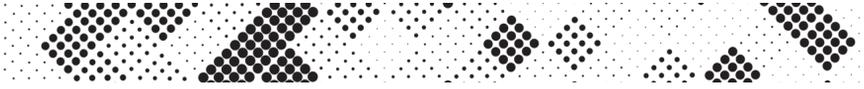
١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل لزوم ترك الطمع إلى الناس كافة بكمال الإيأس عنهم؛ إذ الطمع فيما لا يشك في وجوده من الناس فقر حاضر، فكيف بما أنت شاك في وجوده أو عدمه.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أشرف المنازل ترك الطمع إلى الناس؛ إذ لا غنى لذي طمع وتارك الطمع يجمع به غاية الشرف، فطوبى لمن كان شعار قلبه الورع، ولم يعم بصره الطمع، ومن أحب أن يكون حرّاً فلا يهوى ما ليس له؛ لأن الطمع فقر كما أن اليأس غنى، ومن طمع ذل وخضع كما أن من قنع عفا واستغنى.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الطمع غدة من قلب المرء له طرفان: أحدهما القيد في رجليه، والآخر الطبع على لسانه، فما دامت العقدة فائمة لا تنفك رجلاه ولا ينطق لسانه، فإذا أخرج الطمع من قلبه انفك القيد من رجليه وزال الطبع عن لسانه، فسعى إلى ما شاء وقال ما أحب، ودواء زوال الطمع عن القلب هو رؤية الأشياء من مكوناتها بدوام الخلوة وترك الناس.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العاقل يجتنب الطمع إلى الأصدقاء؛ فإنه مذلة ويلزم اليأس عَنِ الأعداء، فإنه منجاة وتركه مهلكة، والإياس هو بذر الراحة والعز، كما أن الطمع هو بذر التعب والذل، فكم من طامع تعب وذل ولم ينل بغيته، وكم من آيس استراح وتعزز، وقد أتاه مَا أَمَلَ وَمَا لَمْ يُؤْمَلِ.





مجانبة المسألة في الأحوال

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل مجانبة المسألة على الأحوال كلها، ولزوم ترك التعرض؛ لأن الإفكار في العزم على السؤال يورث المرء مهانة في نفسه، ويحطه رتوة عن مرتبته، وترك العزم على الإفكار في السؤال يورث المرء عزا في نفسه، ويرفعه درجة عن مرتبته.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العاقل لا يسأل الناس شيئا فيردوه، ولا يلحف في المسألة فيحرموه، ويلزم التعفف والتكرم، ولا يطلب الأمر مدبراً، ولا يتركه مقبلاً، لأن فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها، وإن من يسأل غير المستحق حاجة حط لنفسه مرتبتين، ورفع المسؤول فوق قدره.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أعظم المصائب سوء الخلق، والمسألة من الناس، والههم بالسؤال نصف الههم، فكيف المباشرة بالسؤال؟ ومن عزت عَليَّه نفسه صغرت الدنيا في عينيه، ولا ينبل الرجل حتى يعف عما في أيدي الناس، ويتجاوز عما يكون منهم والسؤال من الإخوان ملال، ومن غيرهم ضد النوال.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يجب للعاقل أن يبذل وجهه لمن يكرم عَليَّه قدره، ويعظم عنده خطره، فكيف بمن يهون عَليَّه رده

ولا يكرم عَلَيْهِ قدره، وأبعد اللقاء الموت، وأشد منه الحاجة إلى الناس دون السؤال، وأشد منه التكلف بالسؤال؛ لأن السؤال إذا كان بنجاح الحاجة مقرونا لم يخل من أن يكون فيه ذل السؤال، وإذا الحاجة لم تقض كان فيه ذلان موجودان: ذل السؤال، وذل الرد.

٥- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو لم يكن في السؤال خصلة تدم إلا وجود التذلل في النفس عند الاهتمام بالسؤال وإبدائه، لكان الواجب على العاقل أن لو اضطره الأمر إلى أن يستف الرمل ويمص النوى، أن لا يتعرض للسؤال أبداً ما وجد إليه سبيلاً.

فأما من دفعه الوقت إلى ذلك، فسأل من يعلم أنه يقضي حاجته أو ذا سلطان لم يحرص في فعله ذلك، كما لم يحرص في القبول إذا أعطي من غير مسألة، ومن استغنى بالله أغناه الله ومن تعزز بالله لم يفقره كما أن من اعتز بالعبيد أذله.





لزوم القناعة بالقلب

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من أكثر مواهب الله لعباده وأعظمها خطراً القناعة، وليس شيء أروح للبدن من الرضا بالقضاء والثقة بالقسم، ولو لم يكن في القناعة خصلة تحمد إلا الراحة وعدم الدخول في مواضع السوء لطلب الفضل، لكان الواجب على العاقل ألا يفارق القناعة على حالة من الأحوال.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العاقل يعلم أن الأقسام لم توضع على قدر الأخطار وإن من عدم القناعة لم يزد المال غنى، فتمكن المرء بالمال القليل مع قلة الهمة أهنأ من الكثير ذي التبعة، والعاقل ينتقم من الحرص بالقنوع كما ينتقم من العدو بالقصاص؛ لأن السبب المانع رزق العاقل هو السبب الجالب رزق الجاهل.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: القناعة تكون بالقلب فمن غني قلبه غنيت يداه، ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه، ومن قنع لم يتسخط وعاش آمناً مطمئناً، ومن لم يقنع لم يكن له في الفوائد نهاية لرغبته، والجد والحرمان كأنهما يصطرعان بين العباد.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من نازعته نفسه إلى القنوع ثم حسد الناس على ما في أيديهم، فليس ذلك لقناعة ولا لسخاوة بل

لعجز وفشل، ومثله كمثل حمار السوء الذي يفرح بخفة حمليه، ويحزن إذا رأى العلف يؤثر به ذو القوة والحمل الثقيل، فالقانع الكريم أراح قلبه وبدنه، والشرة اللئيم أتعب قلبه وجسمه، فالكرام أصبر نفوساً، واللثام أصبر أجساداً.





لزوم التوكل على الخالق الرزاق

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل لزوم التوكل على من تكفل بالأرزاق؛ إذ التوكل هو نظام الإيمان وقرين التوحيد، وهو السبب المؤدي إلى نفي الفقر، ووجود الراحة، وما توكل أحد على الله جل وعلا من صحة قلبه حتى كان الله جل وعلا بما تضمن من الكفاية أوثق عنده مما حوته يده إلا لم يكله الله إلى عباده، وآتاه رزقه من حيث لم يحتسب.

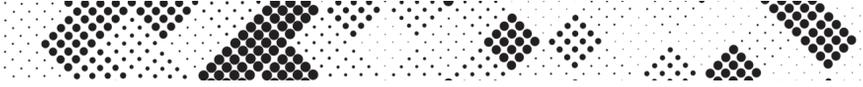
٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العاقل يعلم أن الأرزاق قد فرغ منها، وتضمنها الولي الوفي على أن يوفرها على عباده في وقت حاجتهم إليها، فلا اشتغال بالسعي لما تضمن وتكفل ليس من أخلاق أهل الحزم إلا مع انطواء صحة الضمير على أنه وإن لم يسع في قصده آتاه رزقه من حيث لم يحتسب.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل أن يعلم أن السبب الذي يدرك به العاجز حاجته هو الذي يحول بين الحازم وبين مصادفته، فلا يجب أن يحزن العاقل لما يهوى وليس بكائن، ولا لما لا يهوى وهو لا محالة كائن؛ فما كان من هذه الدنيا للمرء من غير تعب فيه، وما كان عَلَيْهِ لم يدفعه بقوته، ولا يدرك بالطلب المحروم، كما لا يحرم بالقعود المرزوق.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: التوكل هو قطع القلب عن العلائق برفض الخلائق، وإضافته بالافتقار إلى محول الأحوال، وقد يكون المرء موسراً في الدنيا، وهو متوكل صادق في توكله إذا كان العدم والوجود عنده سيين لا فرق عنده بينهما، يشكر عند الوجود ويرضى عند العدم.

وقد يكون المرء لا يملك شيئاً من الدنيا بحيلة من الحيل، وهو غير متوكل إذا كان الوجود أحب إليه من العدم فلا هو في العدم يرضى حالته، ولا عند الوجود يشكر مرتبته.





تلقي القضا،

بلزوم المحبة والرضا

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل أن يعلم أن الأشياء كلها قد فرغ منها، فمنها ما هو كائن لا محالة يكون، وما لا يكون فلا حيلة في تكوينه للخلق، فإن دفعه الوقت إلى حال شدة يجب أن يتزر بإزار له طرفان: أحدهما الصبر، والآخر الرضا، ليستوفي كمال الذخر بفعله ذلك، فكم من شدة قد صعبت وتعذر زوالها على العالم بأسره، ثم فرج عنها المسهل في أقل من لحظة.

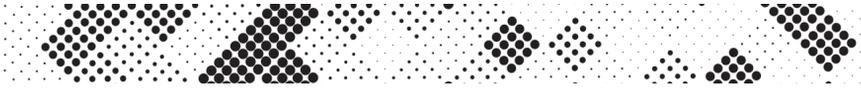
٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يجب على العاقل إذا كان مبتدئاً أن يلزم عند ورود الشدة عَلَيْهِ سلوك الصبر، فإذا تمكن منه حينئذ يرتقي من درجة الصبر إلى درجة الرضا، فإن لم يرزق صبراً فليلزم التصبر؛ لأنه أول مراتب الرضا. ولو كان الصبر من الرجال لكان رجلاً كريماً؛ إذ هو بذر الخير وأساس الطاعات.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الصبر جماع الأمر، ونظام الحزم، ودعامة العقل وبذر الخير، وحيلة من لا حيلة له، وأول درجاته الاهتمام ثم التيقظ ثم الثبوت ثم التصبر ثم الصبر ثم الرضا وهو النهاية في الحالات.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الصبر على ضروب ثلاثة:
 فالصبر عَنِ المعاصي، والصبر على الطاعات، والصبر عند الشدائد
 المصائب، وأفضلها الصبر عَنِ المعاصي.

فالعقل يدبر أحواله بالثبوت عند الأشياء الثلاثة التي ذكرناها
 بلزوم الصبر على المراتب التي وصفناها قبل، حتى يرتقي بها إلى
 درجة الرضا عَنِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا في حال اليسر والعسر معاً، نسأل اللهُ
 الوصول إلى تلك الدرجة بمنه.





لزوم العفو عن الإخوان والأصحاب

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل توطين النفس على لزوم العفو عَنِ النَّاسِ كَافَةً، وترك الخروج بمجازاة الإساءة؛ إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسن من الإحسان، ولا سبب لنماء الإساءة وتهييجها أشد من الاستعمال بمثلها.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من أراد الثواب الجزيل، واسترهان الوُدِّ الأصيل، وتوقُّع الذكر الجميل، فليتحمَّل من ورود ثِقَل الرَّدَى، ويتجرَّع مرارة مخالفة الهوى، باستعماله السُّنَّة التي ذكرناها في الصَّلَاة عند القطع، والإعطاء عند المنع، والحلم عند الجهل، والعفو عند الظلم؛ لأنه من أفضل أخلاق أهل الدين والدنيا.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فالواجب على العاقل لزوم الصفح عند ورود الإساءة عَلَيْهِ مِنَ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِمْ رَجَاءَ عَفْوِ اللَّهِ جَلِّ وَعَلَا عَنِ جُنَايَاتِهِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا فِي سَالِفِ أَيَّامِهِ؛ لِأَنَّ صَاحِبَ الصَّفْحِ إِنَّمَا يَتَكَلَّفُ الصَّفْحَ بِإِثَارِ الْجَزَاءِ، وَصَاحِبِ الْعِقَابِ وَإِنْ انْتَقَمَ كَانَ إِلَى النَّدَمِ أَقْرَبَ، فَأَمَّا مَنْ لَهُ أَخٌ يُوَدُّهُ فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ عَنْهُ الدَّهْرَ كُلَّهُ زَلَّاتِهِ.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أغنى الناس عَنِ الْحَقْدِ مَنْ عَظَمَ

عَنِ الْمُجَازَاةِ، وَأَجَلُّ النَّاسِ مَرْتَبَةً مَنْ صَدَّ الْجَهْلُ بِالْحَلْمِ، وَمَا الْفَضْلُ إِلَّا لِمَنْ يُحْسِنُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ. فَأَمَّا مُجَازَاةُ الْإِحْسَانِ إِحْسَانًا فَهُوَ الْمَسَاوَاةُ فِي الْأَخْلَاقِ، فَلَرُبَّمَا اسْتَعْمَلَهَا الْبَهَائِمُ فِي الْأَوْقَاتِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الصَّفْحِ، وَتَرَكَ الْإِسَاءَةَ خَصْلَةً تُحَمَّدُ إِلَّا رَاحَةَ النَّفْسِ وَوَدَاعَ الْقَلْبِ، لَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يُكْدِرَ وَقْتَهُ بِالْدُخُولِ فِي أَخْلَاقِ الْبَهَائِمِ بِالْمُجَازَاةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ إِسَاءَةً، وَمَنْ جَازَى بِالْإِسَاءَةِ إِسَاءَةً فَهُوَ الْمُسِيءُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَادئًا.

٥- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْعَاقِلُ يُحْسِنُ عِنْدَ الْجَفْوَةِ، وَيُغْضِي عَنِ الْمُجَازَاةِ عَلَيْهَا بِمِثْلِهَا، وَقَدْ قِيلَ: إِنْ مِنْ لَمْ يَغْضِبْ مِنَ الْجَفْوَةِ لَمْ يَشْكُرِ النِّعْمَةَ. وَهُوَ عِنْدِي، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، غَضِبَ لَا يُخْرِجُهُ إِلَى الْمَعَاصِي، وَلَا إِلَى الْإِنْتِقَامِ مِنَ الْجَافِي، كَأَنَّهُ فِي نَفْسِهِ يَعْلَمُ مَحَلَّ الْجَفْوَةِ فِيهِ كَمَا يَعْقِلُ وَرُودَ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ.

وما أقبح قدرة اللئيم إذا قدر! ومن أساء سمعاً أساء إجابة، ومن أتى المكروه إلى أحد فبنفسه بدأ؛ لأن الشرور تبدو صغاراً ثم تعود كباراً.

٦- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ ارْتَفَعَ عَنِ حُدِّ الْجُهَّالِ، أَوْ اتَّضَعَ عَنِ حُدِّ الْعُقَلَاءِ، فَالْإِغْضَاءُ عَنِ مِثْلِهِ فِي الْأَوْقَاتِ أَحْمَدُ؛ مَخَافَةَ الْإِزْدِيَادِ مِنْهُ، لِأَنَّ تَصَبُّرَ الْمَرْءِ عَلَى حَرَارَةِ الْجَفَاءِ وَمَرَارَتِهَا أَوْلَى مِنْ

الانتقام مما يستجلب عَلَيْهِ ما هو أحر وأمر مما مضى؛ لأن من الكلام
مَا هو أشد من الحجر، وأنفذ من الإبر، وأمر من الصبر.





ما يُعرف به وصف الكريم

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أكرم الناس من اتقى الله، والكريم التقى، والتقوى هي العزم على إيثار المأمورات والانزجار عن جميع المزجورات، فمن صحَّح عزمه على هاتين الخصلتين فهو التقى الذي يستحق اسم الكرم، ومن تعرَّى عن استعمالهما أو أحدهما أو شُعبة من شُعبهما فقد نقص من كَرَمه مثله.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الكريم لا يكون حقوداً ولا حسوداً ولا شامتاً ولا باغياً ولا ساهياً ولا لاهياً ولا فاجراً ولا فخوراً ولا كاذباً ولا ملولاً، ولا يَقْطع إلفه، ولا يؤذِي إخوانه، ولا يُضَيِّع الحفاظ، ولا يجفو في الوداد، يُعطي من لا يرجو، ويؤمِّن من لا يخاف، ويعفو عن قُدرة، ويَصِل عن قَطِعة.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الكريم يلين إذا استعطف، واللئيم يقسو إذا أُلطف، والكريم يُجِلُّ الكِرام، ولا يهين اللئام، ولا يؤذِي العاقل، ولا يُمَازح الأحمق، ولا يُعَاشِر الفاجر، مؤثراً إخوانه على نفسه، باذلاً لهم مَما مَلَكَ إذا اطلع على رغبة من أخ لم يدع مكافأتها، وإذا عَرَف منه مودَّة لم ينظر في قلق العداوة، وإذا أعطاه من نفسه الإخاء لم يقطع به شياء من الأشياء.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الكريم من أعطاه شُكره، ومن منعه عُذره، ومن قطعه وصله، ومن وصله فَضَّلَه، ومن سأله أعطاه، ومن لم يسأله ابتدأه، وإذا استضعف أحداً رَحِمَه، وإذا استضعفه أحدٌ رأى الموت أكرم له منه، واللئيم بِضِدِّ مَا وصفنا من الخصال كلها.

٥- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أجمع أهل التجارب للدهر وأهل الفضل في الدين والراغبون في الجميل على أن أفضل ما اقتنى الرجل لنفسه في الدنيا، وأجل ما يَدَّخِرُ لها في العقبى هو لزوم الكرم ومعاشرة الكرام؛ لأن الكرم يُحسِّنُ الذكر ويُشرفُ القَدَر، وهو طباع رَكَّبها الله في بني آدم، فمن الناس من يكون أكرم من أبيه، وربما كان الأب أكرم من ابنه، وربما كان المملوك أكرم من مولاه، وُرَبُّ مولى أكرم من مملوكه.

٦- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الكريم محمود الأثر في الدنيا، مَرَضِيَّ العمل في العقبى، يحبه القريب والقاصي، ويألفه المتسخط والراضي، يفارقه الأعداء واللئام، ويصحبه العقلاء والكرام. وما رأيت شيئاً أكثر عملاً في نقص كرم الكريم من الفقر سواءً كان ذلك بالقلب أو بالموجود.





ذكر ما جاء في ذمّ السُّعاة والوشاة

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عنه الواجب على الناس كافة مجانية الإفكار في السبب الذي يؤدي إلى البغضاء والمشاحنة بين الناس، والسعي فيما يفرّق جمعهم ويبدد شملهم، فالعقل لا يخوض في الإفكار فيما ذكرنا، ولا يقبل سعاية الواشي بحيلة من الحيل؛ لعلمه بما يرتكب الواشي من الإثم في العقبى بفعله ذلك.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عنه: الواجب على العاقل لزوم الإغضاء عما ينقل الوشاة، وصرف جميعها إلى الإحسان، وترك الخروج الى ما لا يليق بأهل العقل مع ترك الإفكار فيما يُزري بالعقل؛ لأن من وشى بالشيء إلى إنسان بعينه يكون قصده إلى المُخبر أكثر من قصده إلى المُخبر به؛ لمشافهته إياه بالشيء الذي يشق عليه علمه وسماعه.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عنه: النميمة تهتك الأستار، وتفشي الأسرار، وتورث الضغائن وترفع الود، وتجدد العداوة، وتبدد الجماعة، وتهيج الحقد، وتزيد الصدّ، فمن وُشِيَ إليه عن أخ كان الواجب عليه معاتبته على الهفوة إن كانت، وقبول العذر إذا اعتذر، وترك الإكثار من العتب مع توطين النفس على الشكر عند الحفاظ، وعلى الصبر عند الضياع، وعلى المعاتبة عند الإساءة.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل أن لا يُقَصِّرَ في معاتبة أخيه على زلته؛ لأن من لم يعاتب على الزلّة لم يكن يحافظُ للخلة، ومن أعتب لم يُذنب، كما أن من اغتفر لم يُعاقب، وظاهر العتاب خيرٌ من مكتوم الحقد، ورُبَّ عَتَبٍ أُنْفَعُ من صَفْحٍ.

٥- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا يجب على العاقل أن يناقش على تصحيح الإعتاب بالإكثار؛ مخافة أن يعود المُعَاتَبُ إلى ما عوتب عَلَيْهِ؛ لأن من عاتب على كل ذنب أخاه فحقيقٌ أن يَمَلَّهُ ويقلاه، وإن من سوء الأدب كثرة العتاب، كما أن من أعظم الجفاء ترك العتاب والإكثار في المعاتبة يقطع الود ويورث الصد.



قبول الاعتذار عن المعتذر

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فالواجب على العاقل إذا اعتذر إليه أخوه لِجُرْمٍ مَضَى، أو لتقصير سَبَق، أن يقبل عذره، ويجعله كمن لم يُذنب؛ لأن من تنصّل إليه فلم يقبل، أخاف أن لا يرد الحوض على المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن، فَرَطَ مِنْهُ تَقْصِيرٌ فِي سَبَبِ مِنَ الْأَسْبَابِ يَجِبُ عَلَيْهِ الْإِعْتِذَارُ فِي تَقْصِيرِهِ إِلَى أَخِيهِ.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا يجب للمرء أن يعتذر بحيلة إلى من لا يحب أن يجد له عذراً، ولا يجب أن يكثر من الاعتذار إلى أخيه؛ فإن الإكثار من الاعتذار هو السبب المؤدي إلى التهمة، ويجب أن يُعاتب المرء من يعلم أنه يعلم، ويعذر من يعلم أنه لا يعلم.

٣- قال أبو حاتم: كل قائل يقول ما يقول على قدر علمه، وسعة فهمه، وعلى من يفضل عليه بالعلم، وزَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ بِالْحِلْمِ، أن يحمده الله على نعمه عنده، ويعذر من حسده عليها بقلّة عِلْمِهِ وفهمه؛ لأن من لم يعذر الجاهل على قوله فقد عدّله على فعله، والإكثار من الاعتذار يؤدي إلى الفضيحة، كما أن ترك الاعتذار يُؤدّي إلى التهمة، وإنّي لأستحب الإقلال من الاعتذار علي الأحوال كلها؛ لعلمي أن المعاذير يعترئها الكذب، وقلما رأيت أحداً اعتذر إلا شاب اعتذاره بالكذب،

ومن اعترف بالزَّلة استحق الصفح عنها؛ لأنَّ ذلَّ الاعتذار عن الزَّلة يوجب تسكين الغضب عنها، والمُعْتَذِرُ إذا كان مُحَقَّاقاً خضع في قوله، وَذَلَّ فِي فِعْلِهِ.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يجب للمرء أن يعلن عقوبة من لم يعلن ذنبه، ولا يخلو المعتذر في اعتذاره من إحدى خُلَّتَيْنِ: إما أن يكون صادقاً في اعتذاره أو كاذباً في قوله، فإن كان صادقاً فقد استحق الغفران؛ لأنَّ شرَّ الناس من لم يُقِلَّ العثرات، ولا يَسْتُرْ الزلات، وإن كان كاذباً، فالواجب على المرء إذا عَلِمَ من المعتذر إثم الكذب ورييته وخضوع الاعتذار وذلته أن لا يعاقبه على الذنب السالف، بل يشكر له الإحسان المُحَدَّثَ الذي جاء به في اعتذاره، وليس يعيب المعتذر إن ذلَّ وخضع في اعتذاره إلى أخيه.

٥- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الاعتذار يذهب الهموم، ويجلي الغموم، ويذهب الصد، ويدفع الحقد، والإقلال منه تَسْتَعْرِقُ فِيهِ الجنایات العظيمة، والذنوب الكثيرة، والإكثار منه يؤدي إلى الاتهام وسوء الرأي، فلو لم يكن في اعتذار المرء إلى أخيه خصلة تُحَمَدُ إِلَّا نَفَى الْعُجْبَ عَنِ النَّفْسِ فِي الْحَالِ، لَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَفَارِقَهُ الْاِعْتِذَارُ عِنْدَ كُلِّ زَلَّةٍ يَزِلُّ.



كتمان الأسرار

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فالواجب على من سلك سبيل ذوي الحِجَى، لزوم مَا انطوى عَلَيْهِ الضمير بتركه إبداء الممكنون فيه لا إلى ثقة ولا إلى غيره؛ فإن الدهر لا بُدَّ من أن يضرب ضرباته فيرفع ضد الوصل بينهما بحالة من الأحوال، فيخرجه ضد مَا انطوى عَلَيْهِ قديماً من وفائه إلى صحة الخروج بالكلية إلى جفائه بإبداء مكتوماته والكشف عن مُخبآته.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: من حَصَّن بالكتمان سره تم له تدبيره، وكان له الظفر بما يريد، والسلامة من العيب والضرر وإن أخطأه التمكُّن والظفر، والحازم يجعل سره في وعاء ويكتمه عن كل مستودع، فإن اضطره الأمر وغلبه أودعه العاقل الناصح له؛ لأن السر أمانة، وإفشاؤه خيانة، والقلب وعاءه، ومن الأوعية مَا يضيق بما يودع، ومنها مَا يتسع لما استودع.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الإفراط في الاسترسال بالأسرار عجز، وما كتمه المرء من عَدُوِّه فلا يجب أن يظهره لصديقه، وكفى لذوي الألباب عِبْرًا مَا جَرَّبُوا، ومن استودع حديثاً فليستُر، ولا يكن مهتاكاً ولا مشيعاً؛ لأن السر إنما سُمي سراً لأنه لا يُفشى، فيجب على العاقل أن يكون صدره أوسع لسره من صدر غيره بأن لا يفشيه.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الظفر بالحزم، والحزم بإجالة الرأي، والرأي بتحصيل الأسرار، ومن كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتْ الْخَيْرَةُ فِي يَدِهِ، ومن أنبأ الناس بأسراره هان عليهم وأذاعوها، ومن لم يكتُم السر استحق الندم، ومن استحق الندم صار ناقص العقل، ومن دام على هذا رجع إلى الجهل، فتحصين السر للعاقل أولى به من التلief بالندم بعد خروجه منه.





استحباب الاستشارة

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: المستشار مؤتمن، وليس بضامن، والمستشير متحصن من السقط متخير للرأي، والواجب على العاقل السالك سبيل ذوي الحِجَى، أن يعلم أن المشاورة تُفشي الأسرار، فلا يستشير إلا اللبيب الناصح الودود الفاضل في دينه، وإرشاد المشير المستشار قضاء حق النعمة في الرأي، والمشورة لا تخلو من البركة إذا كانت مع مثل من وصفنا نعتة.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا أنس أنس من استشارة عاقل ودود، ولا وحشة أوحش من مخالفته؛ لأن المشاورة والمناظرة بابا بركة ومفتاحا رحمة، من استشير فليُشير بالنصيحة، وليجتهد بالرأي، ويلزم الحق وقصد السبيل، وليجعل المستشار كنفه في ترك الخيانة وبذل النصيحة.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل إذا استُشير قوم هو فيهم أن يكون آخر من يشير؛ لأنه أمكن من الفكر، وأبعد من الزَّلَل، وأقرب من الحزم، وأسلم من السقط، ومن استشار فليُنْفِذ الحزم بأن لا يستشير عاجزاً، كما أن الحازم لا يستعين كسلاً، وفي الإشارة عين الهداية، ومن شاور لم يعدم رُشداً، ومن ترك المشاورة لم يعدم غيًّا، ولن يندم من شاور مُرشدًا.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إن من شيم العاقل عند النائبة تنوبه أن يشاور عاقلاً ناصحاً ذا رأي ثم يطيعه، وليعترف للحق عند المشورة ولا يتمادى في الباطل بل يقبل الحق ممن جاء به، ولا يُحَقِّرُ الرأي الجليل إذا أتاه به الرجل الحقير؛ لأن اللؤلؤة الخطيرة لا يشينها قلة خطر غائِصها الذي استخرجها، ثم ليستخر الله وليمض فيما أشار عليه .

٥- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: لا بُدَّ لصاحب السر الكاتم له على ما وصفنا أن يُضَيِّقَ صدره، فيشتهي إذاعة ما به، فإذا كان كذلك اختار إفشاءه بالاستشارة مع الدين العاقل الودود له، ولا يستشير إلا من وجد فيه الخصال الثلاث التي ذكرنا، فإنه إن لم يكن ديناً خانه، وإن لم يكن عاقلاً أخطأه موضع الإصابة، وإن لم يكن واداً فربما لم ينصحه.





لزوم النصيحة للمسلمين، والشفقة

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على المرء لزوم النصيحة للمسلمين كافة، وترك الخيانة لهم بالإضمار والقول والفعل معاً؛ إذ المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يشترط على من بايعه من أصحابه النصح لكل مسلم مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خير الإخوان أشدهم مبالغة في النصيحة كما أن خير الأعمال أجملها عاقبة وأحسنها إخلاصاً، وضرب الناصح خير من تحية الشانيء، ويجب على العاقل أن تكون نصيحته مبذولة للعامة، مكتوماً من العام والخاص ما قدر عَلَيْهِ، وليس الناصح بأولى بالنصيحة من المنصوح له.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: النصيحة منوطة بالتهمة، وليست النصيحة إلا لمن قبلها، كما أن الدنيا ليست إلا لمن تركها، ولا الآخرة إلا لمن طلبها، وليس على كل ذي نصح إلا الجهد ولو لم يقبل من نصحائه ما يثقل عَلَيْهِ لم يحمد غب رأيه، ومشاورة الأصم أَحْمَدُ من الناصح المعرض عنه، ومن بذل نصيحة لمن لا يشكر كان كالباذر في السباخ، وأكثر ما يوجد ترك قبول النصيحة من المعجب برأيه.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: النصيحة تجب على الناس كافة

على ما ذكرنا قبل، ولكن إبدائها لا يجب إلا سراً؛ لأن من وعظ أخاه علانية فقد شانه ومن وعظه سراً فقد زانه، وإيلاغ المجهود للمسلم فيما يزين أخاه أخرى من القصد فيما يشينه.

٥- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: النصيحة إذا كانت على نعت ما ذكرنا تقيم الألفة وتؤدي حق الأخوة، وعلامة الناصح إذا أراد زينة المنصوح له أن ينصحه سراً، وعلامة من أراد شينه أن ينصحه علانية، فليحذر العاقل نصيحة الأعداء في السر والعلانية.





الزجر عن التقاطع والهجران

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يحل التباغض ولا التنافس ولا التحاسد ولا التدابر بين المسلمين، والواجب عليهم أن يكونوا إخواناً كما أمرهم الله ورسوله، فإذا تألم واحد منهم تألم الآخر بألمه، وإذا فرح فرح الآخر بفرحه، ينفي الغش والدغل، مع استسلام الأنفس لله جل وعلا مع الرضا بما يوجب القضاء في الأحكام كلها، ولا يجب الهجران بين المسلمين عند وجود زلة من أحدهما، بل يجب عليهما صرفها إلى الإحسان والعطف عَلَيْهِ بِالْإِشْفَاقِ وترك الهجران.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يجب للمرء أن يدخل في جملة العوام والهمج بإحداث الود لإخوانه وتكديره لهم بالخروج إلى السبب الذي يؤدي إلى الهجران الذي نهى المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه بينهم، بل يقصد قصد الإغضاء عن ورود الزلات، ويتحرى ترك المناقشة على الهفوات، ولا سيما إذا قِيلَ في أحدهم الشيء الذي يحتمل أن يكون حقاً وباطلاً معاً؛ فإن الإنسان ليس يخلو من رشق أسهم العذال فيه.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: السبب المؤدي إلى الهجران بين المسلمين ثلاثة أشياء: إما وجود الزلة من أخيه، ولا محالة يزل،

فلا يغضي عنها ولا يطلب لها ضدها، أو إبلاغ واش يقدر فيه، ومشى عاذل بثلب له، فيقبله ولا يطلب لتكذيبه سيباً، ولا لأخيه عذراً، وورود ملل يدخل على أحدهما؛ فإن الملالة تورث القطع، ولا يكون لملول صديق .

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاثة أيام، فمن فعل ذلك كان مرتكباً لنهي النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخيرهما الذي يبدأ بالسلام، والسابق بالسلام يكون السابق إلى الجنة، ومن هجر أخاه سنة كان كسفك دمه، ومن مات وهو مهاجر أخاه دخل النار، إن لم يتفضل الله عَلَيْهِ بعفو منه ورحمة وغاية مَا أَيْح من الهجران بين المسلمين ثلاثة أيام.





ما على المرء من لزوم الحلم والتغافل

فالحليم عظيم الشأن، رفيع المكان، محمود الأمر، مرضي الفعل، والحلم اسم يقع على زم النفس عن الخروج عند الورود عليها ضد ما تحب إلى ما نهى عنه.

فالحلم يشتمل على المعرفة والصبر والأناة والتثبت، ولم يقرن شيء إلى شيء أحسن من عفو إلى مقدرة، والحلم أجمل ما يكون من المقتدر على الانتقام.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن من نفاسة اسم الحلم، وارتفاع قدره أن الله جل وعلا تسمى به، ثم لم يسم بالحلم أحداً في كتابه إلا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ، وَإِسْمَاعِيلَ ذَبِيحَهُ، حَيْثُ قَالَ {إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَاهِ حَلِيمٌ}، وقال: {فبشرناه بغلام حليم}.

ولو لم يكن في الحلم خصلة تحمد إلا ترك اكتساب المعاصي والدخول في المواضع الدنسة، لكان الواجب على العاقل أن لا يفارق الحلم ما وجد إلى استعماله سبيلاً. والحلم سجية أو تجربة أو هما.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العاقل يلزم الحلم عن الناس كافة، فإن صعب عليه ذلك فليتحالم؛ لأنه يرتقي به إلى درجة الحلم. وأول الحلم المعرفة ثم التثبت ثم العزم ثم التصبر ثم الصبر ثم الرضا

ثم الصمت والإغضاء، وما الفضل إلا للمحسن إلى المسيء، فأما من أحسن إلى المحسن وحلم عمن لم يؤذ فليس ذلك بحلم ولا إحسان.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل إذا غضب واحتد أن يذكر كثرة حلم الله عنه مع كثرة انتهاكه محارمه وتعديه حرمانه ثم يحلم، ولا يخرج غضبه إلى الدخول في أسباب المعاصي. والناس على ضروب ثلاثة: رجل أعز منك ورجل أنت أعز منه، ورجل ساواك في العز، فالتجاهل على من أنت أعز منه لؤم، وعلى من هو أعز منك حتف، وعلى من هو مثلك هراش كهراش الكلبين، ونقار كنقار الديكين، ولا يفترقان إلا عن الخدش والعقر والهجر، ولا يكاد يوجد التجاهل وترك التحالم إلا من سفيهين.

٥- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما ضم شيء إلى شيء هو أحسن من حلم إلى علم، وما عدم شيء في شيء هو أوحش من عدم الحلم في العالم، ولو كان للحلم أبوان لكان أحدهما العقل والآخر الصبر، وربما يدفع العاقل إلى الوقت بعد الوقت إلى من لا يرضيه عنه الحلم، ولا يقنعه عنه الصفح، فحينئذ يحتاج له إلى سفيه ينتصر له؛ لأن ترك الحلم في بعض الأوقات من الحلم.

٦- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الحلم على ضريين: أحدهما ما يرد على النفس من قضاء الله من المصائب التي امتحن الله بها عباده، فيصبر العاقل تحت ورودها ويحلم عن الخروج إلى ما لا يليق بأهل

العقل. والآخر ما يرد على النفس بضد ما تشتهي من المخلوقين، فمن
تعود الحلم فليس بمحتاج إلى التصبر لاستواء العدم والوجود عنده.





ما على المر من لزوم الرفق

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل لزوم الرفق في الأمور كلها، وترك العجلة والخفة فيها؛ إذ الله تعالى يحب الرفق في الأمور كلها، ومن منع الرفق منع الخير كما أن من أعطي الرفق أعطي الخير، ولا يكاد المرء يتمكن من بغيته في سلوك قصده في شيء من الأشياء على حسب الذي يحب إلا بمقارنة الرفق ومفارقة العجلة.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العاقل يلزم الرفق في الأوقات، والاعتدال في الحالات؛ لأن الزيادة على المقدار في المبتغى عيب، كما أن النقصان فيما يجب من المطلب عجز، وما أصلحه الرفق لم يصلحه العنف، ولا دليل أمهر من رفق، كما لا ظهير أوثق من العقل، ومن الرفق يكون الاحتراز، وفي الاحتراز ترجى السلامة، وفي ترك الرفق يكون الخرق، وفي لزوم الخرق تخاف الهلكة.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الرفاق لا يكاد يسبق كما أن العجل لا يكاد يلحق، وكما أن من سكت لا يكاد يندم، كذلك من نطق لا يكاد يسلم، والعجل يقول قبل أن يعلم، ويجب قبل أن يفهم، ويحمد قبل أن يجرب، ويذم بعد ما يحمد، يعزم قبل أن يفكر، ويمضي

قبل أن يعزم، والعجل تصحبه الندامة وتعتزله السلامة، وكانت العرب تكني العجلة أم الندامات.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العجلة تكون من الحدة، وصاحب العجلة إن أصاب فرصته لم يكن محموداً، وإن أخطأها كان مذموماً، وصاحب العجلة لا يسير إلا ناكباً للقصد منحرفاً عن الجادة، يلتمس ما هو أنكد وأوعر وأخفى مساراً، يحكم حكم الورهاء ويناسب أخلاق النساء.

٥- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العجلة موكل بها الندم، وما عجل أحد إلا اكتسب ندامة واستفاد مذمة؛ لأن الزلل مع العجل، والإقدام على العمل بعد التأنى فيه أحزم من الإمساك عنه بعد الإقدام عَلَيْهِ، ولا يكون العجول محموداً أبداً، والعاقل يعلم أن العجز في الأمور يقوم في النقص مقام الإفراط في السعي فيتجنبهما معاً، ويجعل لنفسه مسلكاً بينهما.

٦- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سبب النجاح ترك التواني، ودواعي الحرمان الكسل؛ لأن الكسل عدو المروءة، وعذاب على القوة، ومن التواني والعجز أنتجت الهلكة، فكما أن الأناة بعد الفرصة أعظم الخطأ، كذلك العجلة قبل الإمكان نفس الخطأ، والرشيد من

رشد عن العجلة، والخائب من خاب عن الأناة، والعجل مخطيء أبداً،
كما أن المثبت مصيب أبداً.





التحبيب إلى الأحباب

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قد شبه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الخبر البيان بالسحر؛ إذ الساحر يستميل قلب الناظر إليه بسحره وشعوذته، والفصيح الذرب اللسان يستميل قلوب الناس إليه بحسن فصاحته ونظم كلامه، فالأنفُس تكون إليه تائفة، والأعين له رامقة.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الفصاحة أحسن لباس يلبسه الرجل، وأحسن إزار يتزر به العاقل، والأدب صاحب في الغربية، ومؤنس في القلة، ورفع في المجالس، وزين في المحافل، وزيادة في العقل، ودليل على المروءة، ومن استفاد الأدب في حديثه انتفع به في كبره؛ لأن من غرس فسيلاً يوشك أن يأكل رطبها، وما يستوي عند أولي النهى، ولا يكون سيان عند ذوي الحجى رجلاً: أحدهما يلحن والآخر لا يلحن.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أفضل ما ورث أب ابناً ثناء حسن وأدب نافع، والخرس عندي خير من البيان بالكذب، كما أن الحضور خير من العاهر، فيجب على العاقل أن يذكر قلبه بالأدب كما تذكى النار بالحطب؛ لأن من لم يذكر قلبه ران حتى يسود، ومن تعلم الأدب

فلا يتخذها للممارسة عدة، ولا للمباراة ملجأ، ولكن يقصد قصد الانتفاع بنفسه لنفسه وليستعين به على ما يقربه إلى بارئه.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا زينة أحسن من زينة الحساب، كما أن من أجمل الجمال استعمال الأدب، ولا حسن لمن لا أدب له، ومن كان من أهل الأدب ممن لا حسب له، بلغ به أدبه مراتب أهل الأحساب؛ لأن حسن الأدب خلف من الحساب، وليست الفصاحة إلا إصابة المعنى والقصد، ولا البلاغة إلا تصحيح الأقسام واختيار الكلام، ومن أحمَد الفصاحة الاقتدار عند البداهة، والغزارة عند الإطالة، وأحسن البلاغة وضوح الدلالة وحسن الإشارة.

٥- قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الكلام مثل اللؤلؤ الأزهر والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر، إلا أن بعضه أفضل من بعض، ومنه ما يكون مثل الخزف والحجر والتراب والمدر، وأحوج الناس إلى تعلم الأدب ولزوم الفصاحة أهل العلم؛ لكثرة قراءتهم الأحاديث وخوضهم في أنواع العلم.





إباحة جمع المال، للقائم بحقه

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن من أحسن ما ينتفع المرء به في عمره وبعد الممات، تقوى الله والعمل الصالح، فالواجب على العاقل أن يعمل في شبابه فيما يقيم به أودّه كالشيء الذي لا يفارقه أبداً، وفيما يُصلح به دينه كالشيء الذي لا يجده غداً، وليكن تعاوده لماله ما يُصلح به معاشه ويصون به نفسه، وفي دينه ما يُقدّم به لآخرته ويُرضي به خالقه، والفاقة خيرٌ من الغنى بالحرام، والغني الذي لا مروءة له أهون من الكلب وإن هو طوّق وخُلجِل.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن من أسعد الناس من كان في غناه عفيفاً، وفي مسكنته قنعاً؛ لأن من نزل به الفقر لم يجد بُداً من ترك الحياء، والفقر يذهب العقل والمروءة، ويذهب العلم والأدب، وكاد الفقر أن يكون كُفراً، ومن عُرِفَ بالفقر صار معدناً للتهمة ومجمَعاً للبلايا، اللهم إلا أن يُرزق المرء قلباً نقياً قنعاً يرى الثواب المُدخّر من الضّجّر الشديد، فحينئذ لا يُبالي بالعالم بأسرهم والدنيا وما فيها.

والفقر داعية إلى المهانة، كما أن الغنى داعية إلى المهابة.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ليست خَلَّةٌ هي للغني مدح إلا وهي للفقر عيب، فإن كان الفقير حليماً قِيلاً: بليد، وإن كان عاقلاً

قِيلَ: مكار، وإن كان بليغاً قِيلَ: مهذار، وإن كان ذكياً قِيلَ: بديه، وإن كان صموتاً: قِيلَ عيُّ، وإن كان متأنياً قِيلَ: جبان، وإن كان عازماً قِيلَ: جريء، وإن كان جواداً قِيلَ: مُسْرِف، وإن كان مُقْدَاراً قِيلَ: مُمَسِّك.

وشر المال ما اكتسب من حيث لا يحلُّ وأنفق فيما لا يجمل، ووجوده وعدمه ليسا بتجلد ولا بكثرة حيلة، ولكنه أقسام ومواهب من الخلاق العليم.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن شر المال ما لا تخرج منه حقوقه، وإنَّ شَرًّا مِنْهُ مَا أُخِذَ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ وَمُنِعَ مِنْ حَقِّهِ وَأُنْفِقَ فِي غَيْرِ حِلِّهِ، واستثمار المال قوام المعاش، ولا بد للمرء من إصلاح ماله، وما ارتفع أحد قط عن إصلاح ماله صالحاً كان أو طالحاً.

ولا يجب للعاقل أن يعتمد على مجاورة نِعَمِ اللَّهِ عِنْدَهُ، فلا يقضي منها حقوقها؛ لأن من أساء مجاورة نعم الله أساءت مجاورته، وتحولت منه إلى غيره.



الحث على إقامة المروءات

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْقَاضِي وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ سُلَيْمَانَ السَّعْدِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَتَكِيُّ حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ خَالِدِ الزُّنْجِيِّ عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَرَّمَ الرَّجُلَ دِينُهُ وَمُرُوَّتُهُ عَقْلُهُ وَحَسَبُهُ خُلُقُهُ

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صرح النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الخبر بأن المروءة هي العقل، والعقل اسم يقع على العلم بسلوك الصواب واجتناب الخطأ؛ فالواجب على العاقل أن يلزم إقامة المروءة بما قدر عَلَيْهِ من الخصال المحمودة، وترك الخلال المذمومة، وقد نبغت نابغة اتكلوا على آبائهم واتكلوا على أجدادهم في الذكر والمروءات، وتعرَّوا عن القيام بإقامتها بأنفسهم.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَخْسَرَ صَفْقَةً، وَلَا أَظْهَرَ حَسْرَةً، وَلَا أَخْيَبَ قَصْدًا، وَلَا أَقْلَ رَشْدًا، وَلَا أَحْمَقَ شِعَارًا، وَلَا أَدْنَسَ دِثَارًا مِنَ الْمَفْتَخِرِ بِالْآبَاءِ الْكِرَامِ، وَأَخْلَاقِهِمُ الْجِسَامِ مَعَ تَعَرِّيهِ عَنْ سُلُوكِ أَمْثَالِهِمْ، وَقَصْدِ أَسْبَابِهِمْ، مَتَوْهَمًا أَنَّهُمْ ارْتَفَعُوا بِمَنْ قَبْلَهُمْ،

وسادوا بمن تقدمهم، وهيهات أنى يسود المرء على الحقيقة إلا بنفسه،
وأنى ينبئ في الدارين إلا بكده.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عنه اختلف الناس في كيفية المروءة:

فمن قائل قال: المروءة ثلاث: إكرام الرجال إخوان أبيه، وإصلاحه
ماله، وعوده على باب داره.

ومن قائل قال: المروءة إتيان الحق وتعاهد الضعيف.

ومن قائل قال: المروءة تقوى الله، وإصلاح الضيعة والغداء
والعشاء في الألفية.

ومن قائل قال: المروءة إنصاف الرجل من هو دونه، والسمو إلى
من هو فوقه، والجزاء بما أتى إليه.

ومن قائل قال: مروءة الرجل صدق لسانه، واحتماله عثرات
جيرانه، وبذله المعروف لأهل زمانه، وكفه الأذى عن أباغده وجيرانه.

ومن قائل قال: إن المروءة التباعد من الخلق الدنيء فقط.

ومن قائل قال: المروءة أن يعتزل الرجل الريبة؛ فإنه إذا كان مريباً
كان ذليلاً، وأن يصلح ماله؛ فإن من أفسد ماله لم يكن له مروءة،
والإبقاء على نفسه في مطعمه ومشربه.

ومن قائل قال: المروءة حُسن العشرة، وحفظ الفرج واللسان،
وترك المرء ما يُعاب عليه.

ومن قائل قَالَ: المروءة سخاوة النفس، وحسن الخُلُق.

ومن قائل قَالَ: المروءة العفة والحرفة؛ أن: يعف عما حرم الله، ويحترف فيما أحل الله.

ومن قائل قَالَ: المروءة كثرة المال والولد.

ومن قائل قَالَ: المروءة إذا أُعْطيت شَكَرَتْ، وإذا ابْتُلِيَتْ صَبَرَتْ، وإذا قَدَرَتْ غَفَرَتْ، وإذا وَعَدَتْ أَنْجَزَتْ.

ومن قائل قَالَ: المروءة حسن الحيلة في المطالبة، وريّة الظرف في المُكاتبَة.

ومن قائل قَالَ: المروءة اللطافة في الأمور، وجودة الفِطْنة.

ومن قائل قَالَ: المروءة مجانبة الريبة؛ فإنه لا ينبل مريب، وإصلاح المال؛ فإنه لا ينبل فقير، وقيامه بحوائج أهل بيته؛ فإنه لا ينبل من احتاج أهل بيته إلى غيره.

ومن قائل قَالَ: المروءة النظافة وطيب الرائحة.

ومن قائل قَالَ: المروءة الفصاحة والسماحة

ومن قائل قَالَ: المروءة طلب السلامة، واستعطاف الناس.

ومن قائل قَالَ: المروءة مراعاة العهود والوفاء بالعقود.

ومن قائل قَالَ: المروءة التذلل للأحباب بالتملُّق، ومُداراة الأعداء

بالترفُّق.

ومن قائل قال: المروءة ملاحظة الحركة، ورقة الطبع.

ومن قائل قال: المروءة هي المفاكهة والمُباسمة.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والمروءة عندي خصلتان: اجتناب مَا يكره الله والمسلمون من الفِعال، واستعمال مَا يحب الله والمسلمون من الخصال، وهاتان الخصلتان يأتیان على مَا ذكرنا قبل من اختلافهم، واستعمالهما هو العقل نفسه كما قَالَ المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن مروءة المرء عقله»^(١)، ومن أحسن مَا يستعين به المرء على إقامة مروءته المال الصالح.

٥- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل أن يُقيم مروءته بما قدر عَلَيْهِ، ولا سبيل إلى إقامة مروءته إلا باليسار من المال، فمن رُزِقَ ذلك وَضَنَّ بإنفاقه في إقامة مروءته فهو الذي خسر الدنيا والآخرة، ولا آمن أن تفجأه المنية فتسلبه عما ملك كريبهاً، وتودعه قبره وحيداً، ثم يرث المال بعد من يأكله ولا يحمده، وينفقه ولا يشكره، فأبي ندامة تشبه هذه؟ وأي حسرة تزيد عليها؟

٦- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل تفقُّد الأسباب المستحقرّة عند العوام من نفسه حتى لا يثلم مروءته؛ فإن

(١) أخرجه أحمد في مسنده: ٢/٢٠٥، وابن حبان في صحيحه: ٢/٢٣٣.

المحققات من ضد المرءات تؤذي الكامل في الحال بالرجوع في
القَهْقَرى إلى مراتب العوام وأوباش الناس.





لزوم السخاء بالأموال، ومجانبة البُخل والشحِّ في الأحوال

١- قال أبو حاتم رضي الله عنه: فالواجب على العاقل إذا أمكنه الله تعالى من حُطام هذه الدنيا الفانية، وعلم زوالها عنه، وانقلابها إلى غيره، وأنه لا ينفعه في الآخرة إلا ما قدم من الأعمال الصالحة أن يبلغ مجهوده في أداء الحقوق في ماله، والقيام بالواجب في أسبابه مبتغياً بذلك الثواب في العقبى، والذكر الجميل في الدنيا، إذ السخاء محبة ومحمدة، كما أن البخل مذمة ومبغضة، ولا خير في المال إلا مع الجود كما لا خير في المنظر إلا مع المخبر.

٢- قال أبو حاتم رضي الله عنه: أجود الناس من جاد بماله وصان نفسه عن مال غيره، ومن جاد ساد، كما أن من بخل رذَل، والجود حارس الأعراض، كما أن العفو زكاة العقل، ومن أتمَّ الجود أن يتعري عن المِنَّة؛ لأن من لم يمتن بمعروفه وفَّره، والامتنان يهدم الصنائع، وإذا تعرَّت الصنيعة عن إزارٍ له طرفان أحدهما: الامتنان والآخر طلب الجزاء، كان من أعظم الجود، وهو الجود على الحقيقة.

٣- قال أبو حاتم رضي الله عنه: إن من أحسن خصال المرء الجود من غير امتنان، ولا طلب ثواب، والحلم من غير ضعف ولا

مهانة، وأصل الجود ترك الصَّنَّ بالحقوق عن أهلها، كما أن أصل تربية الجسد أن لا يحمل عليه في الأكل والشرب والباءة، فكما لا تنفع المروءة بغير تواضع ولا الخفض بغير كفاية، كذلك لا ينفع العيش بغير مال، ولا المال بغير جود، وكما أن القرابة تبع للمودة كذلك المحمدة تبع للإنفاق.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: البخل شجرة في النار أغصانها في الدنيا، من تعلق بغصن من أغصانها جرّه إلى النار، كما أن الجود شجرة في الجنة أغصانها في الدنيا، فمن تعلق بغصن من أغصانها جرّه إلى الجنة، والجنة دار الأسخياء والبخيل يُقال له في أول درجته: البخيل، فإذا عتا وطغى في الإمساك يُقال له: الشحيح، فإذا ذمَّ الجود والأسخياء يقال له: اللئيم، فإذا صار يحتج للبخلاء ويعذرهم في فعالهم يُقال له: المُلائم. وما أتزر رجل بإزار أهلك لعرضه، ولا أثلم لدينه من البخل.

٥- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما رأيت أحداً من الشرق إلى الغرب أرتدى برداء الجود واتزر بإيزار ترك الأذى إلا رَأَسَ أشكاله وأضداده، وخضع له الخاص والعام، فمن أراد الرفعة العالية في العُقبى، والمرتبة الجليلة في الدنيا، فليلزم الجود بما ملك، وترك الأذى إلى الخاص والعام، ومن أراد أن يُهتَكَ عرضه ويثلم دينه، ويملّه إخوانه، ويستثقله جيرانه، فليلزم البخل.

٦- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل إذا لم يُعَرَفْ بالسماحة أن لا يُعَرَفَ بالبخل، كما لا يجب إذا لم يُعَرَفَ بالشجاعة أن يُعَرَفَ بالجبن، ولا إذا لم يُعَرَفَ بالشهامة أن يُعَرَفَ بالمهانة، ولا إذا لم يُعَرَفَ بالأمانة أن يُعَرَفَ بالخيانة؛ إذ البُخلِ يئس شعاع في الدنيا والآخرة، وشر ما يُدَّخَر من الأعمال في العُقبى.





التهادي

١- قال أبو حاتم -رضي الله عنه-: الواجب على المرء إذا أُهديت إليه هدية أن يقبلها ولا يردّها، ثم يُثيب عليها إذا قدر ويشكره عنها، وإنّي لأستحب للناس استعمال بعث الهدايا إلى الإخوان بينهم؛ إذ الهدية تورث المحبة، وتذهب الضغينة.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: العاقل يستعمل مع أهل زمانه لزوم بعث الهدايا بما قدر عَلَيْهِ؛ لاستجلاب محبتهم إياه، ويفارق تركه مخافة بغضهم.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل أن يستعمل الأشياء على ما يوجب الوقت، ويُرضي بنفاذ القضاء، ولا يتمنى ضدَّ ما رُزِقَ، وإن كان عنده الشيء التافه لا يجب أن يمتنع من بذله لاستحقاقه واستقلاله؛ لأن أهون ما فيه لزوم البخل والمنع، ومن حقر شيئاً منعه، بل يكون عنده الكثرة والقلة في الحالة سيّان؛ لأن ما يورث الكثير من الخصال أورث الصغير بقدره من الفعال.





تفريج الكرب عن المسلمين

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على المسلمين كافة نصيحة المسلمين، والقيام بالكشف عن همومهم وكربهم؛ لأن من نَفَسَ كربة من كرب الدنيا عَنْ مسلم نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كربة من كرب يوم القيامة، ومن تحرَّرَ قضاء حاجة أخيه ولم يقض قضاؤها على يديه، فكأنه لم يقصر في قضائها، وأيسر ما يكون في قضاء الحوائج استحقاق الغناء، والإخوان يُعرَفون عند الحوائج، كما أن الأهل تُختبر عند الفقر؛ لأن كل الناس في الرخاء أصدقاء، وشر الإخوان الخاذل لإخوانه عند الشدة والحاجة، كما أن شر البلاد بلدة ليس فيها خصب ولا أمن.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حقيقٌ على من عَلِمَ الثواب أن لا يمنع ما ملك من جاءه أو مال إن وجد السبيل إليه قبل حلول المنيّة به، فيبقى عن الخيرات كلها، ويتأسف على ما فاته من المعروف.

والعاقل يعلم أن من صَحِبَ النعمة في دار الزوال لم يَخُلْ من فقدها، وأن من تمام الصنائع وأهناها إذا كان ابتداءً من غير سؤال.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يجب الإلحاف عند السؤال في الحوائج؛ لأن شدة الاجتهاد ربما كانت سبباً للحرمان والمنع، والطالب للفلاح كالضارب بالقداح، سهم له وسهم عليه، فإن أُعطي

وجب عَلَيْهِ الحمد، وإن مُنِع لزمه الرضاء بالقضاء، ولا يجب أن يكون السؤال إلا في ديار القوم ومنازلهم لا في المحافل والمساجد والملا.

٤- قال أَبُو حاتم رَضِيَ عَنْهُ الذي: إذا كان المسئول كريماً فإنه إن سُئِلَ الحاجة في نادي قومه، ولم يكن عنده قضاءؤها تشوُّرٌ وخَجَلٌ، وأما إذا كان المسئول لئيماً ودُفِعَ المرء إلى مسألته في الحاجة تقع له؛ فإنه إن سأله في مجلسه ومسجده كان ذلك عندي أقضى لحاجته؛ لأن اللئيم لا يقضي الحاجة ديانة ولا مروءة، وإنما يقضيها إذا قضاها طلباً للذكر والمحمدة في الناس، على أنني أستحب للعاقل أن لو دفعه الوقت إلى أكل القِدِّ، ومص الحصا، ثم صبر عَلَيْهِ، لكان أحرى به من أن يسأل لئيماً حاجةً؛ لأن إعطاء اللئيم شينٌ ومنعه حتف.

٥- قال أَبُو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يجب للعاقل أن يتوسل في قضاء الحوائج بالعدو ولا بالأحمق ولا بالفاسق ولا بالكذاب ولا بمن له عند المسئول طعمَةٌ، ولا يجب أن يجعل حاجتين في حاجة، ولا أن يجمع بين سؤال وتقاض، ولا يظهر شدة الحرص في اقتضاء حاجته؛ فإن الكريم يكفيه العلم بالحاجة دون المطالبة والاقتضاء.

٦- قال أَبُو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العاقل لا يتسخط ما أُعطي، وإن كان تافهاً؛ لأن من لم يكن له شيء فكل شيء يستفيده ربح، ولا يجب أن يسأل الحاجة كل إنسان؛ فَرُبَّ مهروب منه أنفع من مُسْتَغَاثٍ إليه، ولا يجب أن يكون السائل مُتَشَفِّعاً لآخر؛ لأن من لم يقدر على أن يسبح

فلا يجب أن يحمل على عاتقه آخر، ومن سُئِلَ فليبدل؛ لأن مال المرء نصفان: له مَا قَدَّمَ، ولوارثه مَا خَلَّفَ، وأقرب الأشياء في الدنيا زوالاً المال والولاية، والتعاهد للصنعة بالتحفُّظ عليها أحسن من الابتداء، ومن عَرَسَ غِرَاساً فلا يَضُنُّ بالنفقة على تربته فتذهب النفقة الأولى ضياعاً.





إعطاء السؤال

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إني لأستحب للمرء طلب المعالي من الأخلاق مع ترك رد السؤال؛ لأن عدم المال خير من عدم محاسن الأخلاق، والندامة موكلة بترك معالجة الفرصة، وإن الحُرْحُر الحُر من أعتقته الأخلاق الجميلة، كما أن أسوأ العبيد من استعبده الأخلاق الدنيئة، ومن أفضل الزَّاد في المعاد اعتقاد المحامد الباقية، ومن لزم معالي الأخلاق أنتج له سلوكها فراحاً تطير بالسرور.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَا ضَاعَ مَالٌ وَرَثَ صَاحِبُهُ مَجْدًا، وَلَوْلَا الْمُتَفَضِّلُونَ مَاتَ الْمُتَجَمِّلُونَ، وَلَيْسَ يَسْتَحِقُّ الْمَرْءُ اسْمَ الْكِرْمِ بِالْكَفِّ عَنِ الْأَذَى إِلَّا أَنْ يَقْرَنَهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَمَنْ كَثُرَتْ فِي الْخَيْرِ رَغْبَتُهُ، وَكَانَ اصْطِنَاعَ الْمَعْرُوفِ هِمَّتَهُ، قَصَدَهُ الرَّاجُونَ، وَأَمَلَهُ الْمُتَأَمِّلُونَ، وَمَنْ كَانَ عَيْشُهُ وَحْدَهُ، وَلَمْ يَعِشْ بِعَيْشِهِ غَيْرَهُ، فَهُوَ وَإِنْ طَالَ عَمْرُهُ قَلِيلَ الْعُمْرِ، وَالْبَائِسُ مَنْ طَالَ عَمْرُهُ فِي غَيْرِ الْخَيْرِ، وَمَنْ لَمْ يَتَأَسَّ بِغَيْرِهِ فِي الْخَيْرِ كَانَ عَاجِزًا، كَمَا أَنَّ مَنْ اسْتَحْسَنَ مِنْ نَفْسِهِ مَا يَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِهِ كَانَ كَالْغَاشِ لِمَنْ تَجِبَ عَلَيْهِ نَصْحُهُ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ هِمَّةٌ إِلَّا بَطْنُهُ وَفَرَجُهُ عَدَمٌ مِنَ الْبُهَائِمِ، وَالْهِمَّةُ تَبْلُغُ الرَّتْبَةَ الْعَالِيَةَ؛ لِأَنَّ النَّاسَ بِهَمِّهِمْ.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل أن يبدأ بالصنائع والإحسان الأفرض فالأفرض، يبدأ بأهل بيته ثم بإخوانه وجيرانه ثم الأقرب فالأقرب، ويتحرى المعروف والإحسان في أهل الدين والعلم منهم، ويجتنب ضد ما قلنا. لأن مثل من لم يفعل ما أو مانا إليه.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: العاقل يتدب بالصنائع قبل أن يسأل؛ لأن الابتداء بالصنعة أحسن من المكافأة عليها، والإمساك عن التعرض خير من البذل، والصنائع إنما تحسن بإتمامها والمحافظة عليها بعدها؛ لأن بصلاح الخواتم تزكو الأوائل، والعطية بعد المنع أجمل من المنع بعد العطية، والناس في الصنائع على ضربين: شاكرك وكافر.

٥- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الهمج من الناس إذا أحسن إليه يرى ذلك استحقاقاً منه له، ثم يرى الفضل لنفسه على المحسن إليه، فلا يحمد عند الخير، ولا يشكر عند البر، ويتعجب ممن يشكر ويذم من يحمد. فإذا امتحن العاقل بمثل من هذا نعتة استعمل.

٦- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أهنأ الصنائع وأحسنها في الحقائق، وأوقعها بالقلوب، وأكثرها استدامة للنعم، واستدفاعاً للنقم، ما كانت خالية عن المنن في البداية والنهاية، فإذا كانت البداية خالية

عن السؤال، والنهاية متعريية عن الأمتنان، فهو الغاية في الصنعة،
والنهاية في الإحسان.





الضيافة

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إني لأستحب للعاقل المداومة على إطعام الطعام والمواظبة على قرى الضيف؛ لأن إطعام الطعام من أشرف أركان الندى، ومن أعظم مراتب ذوي الحجى، ومن أحسن خصال ذوي النهي، ومن عرف بإطعام الطعام شرف عند الشاهد والغائب، وقصده الراضي والعاتب، وقرى الضيف يرفع المرء وإن دق نسبه إلى منتهى بغيته ونهاية محبته، ويشرفه برفيع الذكر وكمال الذخر.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كل من ساد في الجاهلية والإسلام حتى عرف بالسؤدد وانقاد له قومه ورحل إليه القريب والقاصي لم يكن كمال سؤدده إلا بإطعام الطعام وإكرام الضيف، والعرب لم تكن تعد الجود إلا قرى الضيف وإطعام الطعام، ولا تعد السخي من لم يكن فيه ذلك حتى إن أحدهم ربما سار في طلب الضيف الميل والميلين.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يجب على العاقل ابتغاء الأضياف وبذل الكسر؛ لأن نعمة الله إذا لم تصن بالقيام في حقوقها ترجع من حيث بدأت، ثم لا ينفع من زالت عنه التلهف عليها، ولا الإفكار في الظفر بها، وإذا أدى حق الله فيها استجلب النماء والزيادة، واستذخرت الآخرة في القيامة، واستقصى إطعام الطعام. وعنصر قرى الضيف هو

ترك استحقار القليل، وتقديم ما حضر للأضياف؛ لأن من حقر منع مع إكرام الضيف بما قدر عَلَيْهِ، وترك الادخار عنه.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أبخل البخلاء من بخل بإطعام الطعام، كما أن من أجود الجود بذله، ومن ضمن بما لا بد للجثة منه، ولا تربو النفس إلا عَلَيْهِ، كان لغيره أبخل وعليه أشح، ومن إكرام الضيف طيب الكلام وطلاقة الوجه والخدمة بالنفس؛ فإنه لا يذل من خدم أضيافه، كما لا يعز من استخدمهم أو طلب لقراه أجراً.





ما على المرء من الشكر للمخلوقين

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على من أسدي إليه معروف أن يشكره بأفضل منه أو مثله؛ لأن الإفضال على المعروف في الشكر لا يقوم مقام ابتدائه وإن قل، فمن لم يجد فليثن عَلَيْهِ؛ فإن الثناء عند العدم يقوم مقام الشكر للمعروف، وما استغنى أحد عن شكر أحد.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الحر لا يكفر النعمة ولا يتسخط المصيبة بل عند النعم يشكر، وعند المصائب يصبر، ومن لم يكن لقليل المعروف عنده وقع، أو شك أن لا يشكر الكثير منه، والنعم لا تستجلب زيادتها ولا تدفع الآفات عنها إلا بالشكر لله جل وعلا، ولمن أسداها إليه.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل أن يشكر النعمة ويحمد المعروف على حسب وسعه وطاقته إن قدر فبالضعف وإلا فبالمثل وإلا فالمعرفة بوقوع النعمة عنده، مع بذل الجزاء له بالشكر وقوله: جزاك الله خيراً، فمن قال له ذلك عند العدم فكأنه أبلغ في الثناء.

ومن الناس من يكفر النعم، وكفران النعم يكون من أحد رجلين: إما رجل لا معرفة له بأسباب النعم والمجازاة عليها؛ لما لم يركب فيه

من التفقد لمراعاة العشرة، فإذا كان كذلك وجب الإغضاء عنه، وترك المناقشة على فعله، والرجل الآخر أن يكون ذا عقل لم يشكر النعمة استخفافاً بالمنعم واستحقاراً للنعمة وتهاوناً في نفسه لهما أو لأحدهما، فإذا كان كذلك يجب على العاقل ترك العود إلى فعله، والخروج باللائمة على نفسه إذا كان له خبرة به.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنني لأستحب للمرء أن يلزم الشكر للصانع وللسعي فيها من غير قضائها، إذا كان المنعم من ذوي القدر فيه، والاهتمام بالصنائع، لأن الاهتمام ربما فاق المعروف، وزاد على فضل الإحسان؛ إذ المعروف قد يعمل المرء لنفسه والإحسان يصطنعه إلى الناس، وهو غير مهتم به ولا مشفق عليه، وربما فعله الإنسان وهو متكاره، والاهتمام لا يكون إلا من فرط عناية وفضل ود، فالعاقل يشكر الاهتمام أكثر من شكره للمعروف.





طلب أسباب الرئاسة، على التصبر

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صرحت السنة عَنْ المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن كل راعٍ مسئول عَنْ رعيته، فالواجب على كل من كان راعياً لزوم التعهد لرعيته، فرعاة الناس العلماء، وراعي الملوك العقل، وراعي الصالحين تقواهم، وراعي المتعلم معلمه، وراعي الولد والده، كما أن حارس المرأة زوجها وحارس العبد مولاه، وكل راعٍ من الناس مسئول عَنْ رعيته.

وأكثر مَا يجب تعاهد الرعية للملوك؛ إذ هم رعاة لها وهم أرفع الرعاة؛ لكثرة نفاذ أمورهم وعقد الأشياء وحلها من ناحيتهم، فإذا لم يراعوا أوقاتهم ولم يحتاطوا لرعيتهم هلكوا وأهلكوا، وربما كان هلاك عالم في فساد ملك واحد ولا يدوم ملكٌ إلا بأعوان تطيعه ولا يطيعه الأعوان إلا بوزير ولا يتم ذلك إلا أن يكون الوزير ودوداً نصوحاً، ولا يوجد ذلك من الوزير إلا بالعفاف والرأي، لا يتم قوام هؤلاء إلا بالمال، ولا يوجد المال إلا بصلاح الرعية، ولا تصلح الرعية إلا بإقامة العدل، فكأن ثبات الملك لا يكون إلا بلزوم العدل، وزواله لا يكون إلا بمفارقتة.

فالواجب على الملك أن يتفقد أمور عماله حتى لا يخفى عَلَيْهِ إِحسان محسن ولا إِساءة مسيء؛ لأنه إذا خفي عَلَيْهِ أعمال عماله لم

يكن قائما بالعدل.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يجب للسلطان أن يفرط
البشاشة والهشاشة للناس، ولا أن يقل منهما؛ فإن الإكثار منهما يؤدي
إلى الخفة والسخف والإقلال منهما يؤدي إلى العجب والكبر، ولا
ينبغي له أن يغضب لأن قدرته من وراء حاجته، ولا له أن يكذب؛ لأنه لا
يقدر أحد على استكراهه، ولا له أن يبخل لأنه لا عذر له في منع الأموال
والجاه معاً، ولا له أن يحقد لأنه يجب أن يترفع عن المجازاة، فأفضل
السلطان ما لم يخالطه البطر، وأعجزهم آخذهم بالهويني، وأقلهم نظراً
في العواقب، وخير السلطان من أشبه النسر حوله الجيف لا من أشبه
الجيف حولها النسور.

ويجب عَلَيْهِ استبقاء الرئاسة وما فيه من نعمه اللَّهُ عَلَيْهِ بِلزوم
تقوى اللَّهِ، وتفقد أمور الرعية وإنصاف بعضهم بعض، لأنه مَا من قوي
في الدنيا إلا وفوقه أقوى منه، فمتى مَا عرف السلطان فضل قوته على
الضعفاء، فغره ذلك من قوة الأقوياء كانت قوته حيناً عَلَيْهِ وهلاكاً له،
فالضعيف المحترس أقرب إلى السلامة من القوي المغتر؛ لأن صرعة
الاسترسال لا تكاد تستقال، ولا يجب أن يعجل في سلطانه بعقاب من
يخاف أن يندم عَلَيْهِ، ولا يثقن بمن عاقبه من غير جرم.

وما أشبه السلطان إلا بالنار إن قصرت بطل نفعها، وإن جاوزت
عظم ضررها، فخير السلطان من أشبه الغيث في أحيانه في إنفاع من يليه

لا من أشبه النار في أكلها ما يليها. والسلطان إذا كان عادلاً خيراً من المطر إذا كان وابلاً، وسلطان غشوم خيراً من فتنة تدوم، والناس إلى عدل سلطانهم أحوج منهم إلى خصب زمانهم.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يستحق أحد اسم الرئاسة حتى يكون فيه ثلاثة أشياء: العقل والعلم والمنطق، ثم يتعرى عن ستة أشياء: عن الحدة والعجلة والحسد والهوى والكذب وترك المشاورة. ثم ليلزم في رئاسته على دائم الأوقات ثلاثة أشياء: الرفق في الأمور والصبر على الأشياء وطول الصمت. فمن تعرى عن هذه الأشياء وهو ذو سلطان عمي عليه قلبه وتشتت عليه أموره، ومن لم يكن فيه خصلة من هذه الخصال، نقص من ضوء بصر قلبه مثلها، ودخل الخلل في أموره نحوها.

وإنما مثل الرئيس والرعية كمثل جماعة عميان ليس فيهم إلا قائد واحد، فإن لم يكن ذلك القائد أحد الناس بصراً وأطفهم نظراً، كان خليقاً أن يوقعهم وإياه في وهدة تندق أعناقهم وعنقه معهم. والواجب على السلطان أن لا يغفل عن الأشياء الأربعة التي صلاحه في دينه ودينه فيها.

٥- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يجب للعاقل طلب الإمارة؛ لأن من أوتيتها عن مسألة وكل إليها، ومن أعطيتها من غير مسألة أعين عليها، ومن اشتهر بالرئاسة فليحترز؛ لأن الريح الشديدة لا تحطم الكلاء

وهي تحطم دوح الشجر ومشيد البنيان.

وليلزم المشورة؛ فإن في المشورة صلاح الرعية ومادة الرأي، وليصطنع إلى الناس كافة في الوقت الذي يقدر على الصنائع والمعروف قبل أن يجيئه الوقت الذي يفقد فيه القدرة عليها، وليعتبر بمن كان قبله من الملوك والأمراء والسادة والوزراء؛ لأن من ظفر بأمر جسيم فأضاعه فاته، ومن أمكته الفرصة فأخر العمل فيها لا تكاد تعود إليه، والسلطنة إنما هي قول الحق والعمل بالعدل لا التفاخر في الدنيا واستعمال البذل.

٦- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من صحب السلطان فلا يجب أن يكتمه نصيحته؛ لأن من كتم السلطان نصيحته، والأطباء مرضه، والإخوان بثه، فقد خان نفسه، ومن يصحب السلطان لا ينجو من الآثام، كما أن راكب العَجَل لا يأمن العِثَار، ولا يجب أن يأمن غضب السلطان إن صدقه، ولا عقوبته إن كذبه، ولا يجترئ عَلَيْهِ وإن أدناه؛ لأن الحازم العاقل لا يشرب السم اتكالاً على ما عنده من الترياق والأدوية. وإني لأستحب لمن امتحن بصحبة السلطان أن يُعَلِّمه لزوم تقوى الله والعمل الصالح، كأنه يتعلم منه ويؤدبه كأنه يتأدب به، ويتقي سخطاته، والسخط إذا كان من عِلَّةٍ كان الرضا عنه موجوداً، وإذا كان من غير علة ينقطع حينئذ الرجاء.

ولا يجب للرعية أن تعمل كل ما تأتي الملوك من أمورها؛ لأن في

معرفتهم إياها بعض الفتنة، وهيهات من إذا صحب السلطان فلم يُفْتَنَّ،
ومن اتبع الهوى فلم يعطب، إن الشجرة الحسناء ربما كان سبب هلاكها
طيب ثمرها، وربما كان ذنب الطاووس الذي فيه جماله سبب حتفه؛
لأنه يثقله حتى يمنعه من الهرب، ومن صحب السلطان لم يأمن التغيُّر
على نفسه؛ لأن الأنهار إنما تكون عذبة ما لم تنصب إلى البحور، فإذا
وقعت في البحور ملحت على أن قعود العلماء عن أبواب الملوك زيادة
في نور علمهم، وكثرة غشيانهم إياهم غشاوة على قلوبهم، ومن صحب
الملوك لم يأمن تغييرهم، ومن زایلهم لم يأمن تفقدهم، فإن قطع الأمور
دونهم لم يأمن فيها مخالفتهم، وإن عزم على شيء لم يجد بداً من
مؤامرتهم، وأسمح شيء بالملوك الجدة.

٧- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رؤساء القوم أعظمهم هموماً،
وأدومهم غموماً، وأشغلهم قلوباً، وأسهرهم عيوناً، وأكثرهم عدواً،
وأشدهم أحزاناً، وأنكاهم أشجاناً، وأكثرهم في القيامة حساباً، وأشدهم
إن لم يعف الله عنهم عذاباً.

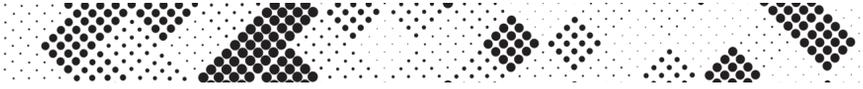
ومن أحسن ما يستعين به السلطان على أسبابه، اتخاذ وزير ذي
عقل عفيف ناصح على ما تقدم ذكرنا له؛ فإن الوزير إذا غفل الأمير
ذَكَرَهُ، وإن ذكر أعانه، وإن سولت له نفسه سيئة صدَّه، وإن أراد طاعة
نشَّطه، فهو المحجب له إلى الناس، والمستجلب دعائهم له.

٨- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على كل من يغشى

السلطان، وامتحن بصحبته، أن لا يعد شتمه شتماً، ولا إغلاظه إغلاظاً، ولا التقصير في حقه ذنباً؛ لأن ريح العزة بسطت لسانه ويده بالغلظة، فإن أنزله الوالي منزلة رفيعة من نفسه فلا يثقنَّ بها، وليُجانب معه الكلام الملق، والإكثار من الدعاء في كل وقت وكثرة الانبساط، فربَّ كلمة أثارَت الوحشة بل يجتهد في توقيره وتعظيمه عند الناس، فإن غضب فليحتل في تسكين غضبه باللين والمداراة ولا يكون سبباً لتهييجه.

٩- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الواجب على من قُتِلَ أمور المسلمين، الرجوع إلى الله جل وعلا في كل لحظة وطرفة؛ لئلا يطغيه ما هو فيه من تسلُّطه، بل يذكُر عظمة الله وقدرته وسلطانه، وأنه هو المنتقم ممن ظلم، والمجازي لمن أحسن، فليلزم في إمرته السلوك الذي يؤديه إلى اكتساب الخير في الدارين، وليعتبر بمن مضى قبله من أشكاله؛ لأنه لا محالة مسئول عن شكر ما هو فيه كما هو لا محالة مسئول عن حسابه؛ إذا المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة: [يا ابن آدم]، ألم أحملك على الخير وزوجتُك النساء وجعلتُك ترأس وتربّع، فيقول: بلى، فيقول: فأين شكر ذلك؟».





ما يجب على المرء من الاعتبار

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الواجب على العاقل أن لا يغتر بالدنيا وزهرتها، وحسنها وبهجتها، فيشتغل بها عن الآخرة الباقية والنعم الدائمة، بل ينزلها حيث أنزلها الله؛ لأن عاقبتها لا محالة تصير إلى فناء، يخرب عمرانها، ويموت سكانها، وتذهب بهجتها، وتبيد خضرتها، فلا يبقى فيها رئيس متكبر [ولا] موقر، ولا فقير مسكين مُحْتَقَرٍ إلا ويجري عليهم كأس المنايا، ثم يصيرون إلى التراب فيبَلُونَ حتى يرجعوا إلى مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الْبَدَايَةِ إِلَى الْفَنَاءِ، ثم يرث الأرض ومن عليها علام الغيوب.

فالعاقل لا يركن إلى دار هذا نعتها، ولا يطمئن إلى دنيا هذه صفتها، وقد أَعَدَّ لَهُ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ، وَلَا أَذْنَ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَيَضِنُّ بِتَرْكِ هَذَا الْقَلِيلِ وَيَرْضَى بِفَوْتِ ذَلِكَ الْكَثِيرِ.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رأيت على حجر بطبرستان

مكتوب:

والدهر نصفان فريف وضر	العيش لوان فحللو ومر
والناس اثنان فنذل وحر	والنطق جزآن فبعرو ودر
نهار يزول وليل يَكُرُّ	يومك يومان فخير وشر

وكذاك الزمان على من مضى وكل السنين على ذا تَمُر
 ٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الدنيا بحر طَفَّاح، والناس في
 أمواجها يعمون، وهي أمثال تضربها الأيام للأنام، وما أكثر أشباهها
 منها؛ لأن كل ما يصير إلى فناء منها يشبهها فمن أوتي من الدنيا أشياء
 ثلاثة فقد أوتي الدنيا بحذافيرها: الأمن والقوت والصحة، ولا يَغْتَر
 بشيء منها إلا كل خَدَّاع، ولا يركن إليها إلا كل متناع.

فالعاقل يعلم أن ما لم يبقى لغيره عَلَيْهِ غير باق، وأن ما سُلِبَ
 من غيره لا يُتْرَك عَلَيْهِ، فالقصد إلى ما يعود بالنفع في الآخرة للعاقل
 من الدنيا أحرى من السلوك في قصد الضنُّ بها والجمع لها من غير
 تقديم ما يُقَدِّم عَلَيْهِ في الآخرة من الأعمال الصالحة، وترك الاغترار
 بها والاعتبار بتقلُّبها بأهلها، ولا شيء أعظم خطراً من الحياة، ولا غُبْنَ
 أعظم من إفنائها لغير حياة الأبد، ومن اشتهى أن يكون حراً فليجتنب
 الشهوات وإن كانت لذيدة، ليعلم أن كل لذيد فليس بنافع، ولكن كل
 نافع فهو اللذيد، وكل الشهوات مملولة إلا الأرباح؛ فإنها لا تُمَل،
 وأعظم الأرباح الجنة، فالاستغناء بالله عَن الناس.

٤- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السبب المؤدي للعاقل إلى
 إنزاله الدنيا منزلتها، ترك الركون إليها مع تقديم ما قدرَ منها للعيش
 الدائم والنعيم المقيم، هو ترك طول الأمل ومراقبة ورود الموت عَلَيْهِ
 في كل لحظة وطرفة؛ لأن طول الآمال قَطَعَت أعناق الرجال كالسراب

أخلف من رجاه وخاب من رآه، فالعاقل يلزم تركها مع الاعتبار الدائم
بمن مضى من الأمم السالفة والقرون الماضية، كيف عفت آثارهم
واضحلت أنباؤهم؟ فما بقي منهم إلا الذكر ولا من ديارهم إلا الرّسم،
فسبحان من هو قادر على بعثهم وجمعهم للجزاء والعقاب.





الحث على لزوم ذكر الموت

١- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الواجب على العاقل أن يَضُم إلى رعاية مَا ذَكَرْنَا مِنْ شُعَبِ الْعَقْلِ فِي كِتَابِنَا هَذَا لِزُومِ ذِكْرِ الْمَوْتِ عَلَى الْأَوْقَاتِ كُلِّهَا، وَتَرْكِ الْإِغْتِرَارِ بِالدُّنْيَا فِي الْأَسْبَابِ كُلِّهَا؛ إِذِ الْمَوْتُ رَحَى دَوَّارَةٌ بَيْنَ الْخَلْقِ، وَكَأْسٌ يُدَارُ بِهَا عَلَيْهِمْ، لَا بَدَ لِكُلِّ ذِي رُوحٍ مِنْ شُرْبِهَا وَذَائِقِ طَعْمِهَا، وَهُوَ هَادِمُ اللَّذَاتِ، وَمُنْعَصُ الشَّهَوَاتِ، وَمُكَدِّرُ الْأَوْقَاتِ، وَمُزِيلُ الْعَاهَاتِ.

٢- قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العاقل لا ينسى ذكر شيء هو مترقب له، ومنتظر وقوعه من قدم إلى قدم، ومن لحظة إلى شذرة، فكم من مُكْرَمٍ فِي أَهْلِهِ مُعْظَمٌ فِي قَوْمِهِ مُبْجَلٌ فِي جِيرَتِهِ لَا يَخَافُ الضِّيقَ فِي الْمَعِيشَةِ وَلَا الضَّنْكَ فِي الْمَصِيبَةِ، إِذْ وَرَدَ عَلَيْهِ مُدَّلُّ الْمَلُوكِ، وَقَاهِرِ الْجَبَابِرَةِ، وَقَاصِمِ الطَّغَاةِ، فَأَلْقَاهُ صَرِيحاً بَيْنَ أَحِبَابِهِ وَجِيرَانِهِ، مَفَارِقاً أَهْلَ بَيْتِهِ وَإِخْوَانِهِ، لَا يَمْلِكُونَ لَهُ نَفْعاً وَلَا يَسْتَطِيعُونَ عَنْهُ دَفْعاً، فكم من أُمَّةٍ قَدْ أَبَادَهَا الْمَوْتُ وَبَلَدَهَا قَدْ عَطَّلَهَا، [ولذلة قد نغصها]، وذات بعلٍ قد أرمِلها، وذو أب أيتمه، وذو إخوة أفرده.

فالعاقل لا يغتر بحالة نهايتها تؤدي إلى مَا قُلْنَا، وَلَا يَرْكُنُ إِلَى عَيْشِ مَغْبِئَتِهِ مَا ذَكَرْنَا، وَلَا يَنْسَى حَالَهُ لَا مُحَالَةً هُوَ مَوَاقِعُهَا، يَوْمًا لَا شَكَّ

يأتيه، إذ الموت طالب حثيث لا يعجزه المُقيم، ولا ينفلت منه الهارب.

٣- قال أبو حاتم رَضِيَ اللهُ عنه: إن الله جل وعلا خلق آدم وذريته من الأرض وأنشأهم على ظهرها، فأكلوا من ثمارها وشربوا من أنهارها، ثم لا محالة تنزل المنيَّةُ بهم وتُغنيهم عن السعي والحركات مع تعطيل الجُثث والآلات، ثم يعيدهم إلى الأرض التي منها خَلَقَهُمْ حتى تأكل لحومهم كما أكلوا أثمارها، وتشرب دماءهم كما شربوا من أنهارها، وتَقْطَعُ أوصالهم كما مشوا على ظهرها، فالقبر أوَّل منزل من منازل الآخرة، وآخر منزل من منازل الدنيا، فطوبى لمن مهَّد في دنياه لقبره ووقَّدم منها لآخرته، فكم عفرت الأرض من عزيز، وأفقدت العين من أنيس.





خاتمة

رزقنا الله وإياكم حسن الختام، وما هذا المجموع الممتقى،
والمحصول المنتخل، والدر المقتنى إلا خلاصة وصايا، وحكم ومجمل
ما يَجْمُلُ بالعاقل فعله، ومعرفته، والدعوة إليه والسير عليه، أفنيت في
التقاطه الساعات والليالي والأيام، بُغية زَمَّ نفسي بخطام العقل، وتقييد
فعلي بأفعال العقلاء، فتنزهت الروح في روضة الفضلاء، وسارت
النفس في دروب حكايات العقلاء، وجمعت العين درراً من ذلك جعلها
الله في هذا السفر المبارك، مما قاله أبو حاتم البستي -رضي الله عنه
وأرضاه ورحمه رحمة واسعة- جمعتها لنفسي ثم آثرت نشرها بقلب
سهل وبمفردات يسيرة لتقريبها لطلابها عساها تقوم به مقام العقلاء،
وتسير به مسار الأدباء.

والله من وراء القصد، وهو المأمول في القبول، والسلام.

د. محمد بن سرار بن علي اليامي

تمت في رياض نجد العامرة

١٤٤٤/٦/١٩ هـ



فهرس الموضوعات

صفحة	الموضوع
٥	إهداء
٧	مقدمة
٩	مفهوم العقل
٢٨	وصف العاقل اللبيب، ونعت الفاضل الأريب
٣٦	إصلاح السرائر، والتحفُّظ للضمائر
٣٩	طلب العلم، ومُتابعة الحِلْم
٤٢	الحِفْظ للسان، وتعهُّده عند الإظهار للبيان
٤٦	لزوم الصِّدق في الأوقات، ومُجانبة الكذب في الحالات
٤٩	لزوم الحياء
٥٥	التحبُّب إلى الناس
٥٨	لزوم المُداراة، وترك المُداهنة
٦٠	لزوم المرء إفشاء السلام، والتبسُّم للأنام
٦٢	المُزاح بالأقوال، وما كُره من استعماله بالأفعال
٦٤	الاعتزال عن العوام
٦٦	لزوم المؤاخاة مع الخاص ببذل الود والمصافاة
٧٠	مجانبة المعادة، مع مباينة الإظهار للمناواة

- ٧٣ صحبة الأخيار
- ٧٥ كراهية التلون بين المتأخيين
- ٧٧ تعارف الأرواح للائتلاف، وما يُعلم تناكُرُها للاختلاف
- ٧٩ التكلّف لزيارة الإخوان والأصحاب
- ٨١ صُحبة الجاهل الأحمق
- ٨٤ الزجر عن سوء الظن والتجسس
- ٨٦ الزجر عن لزوم الحرص للعاقل
- ٨٨ الزجر عن التحاسد والبغضاء
- ٩١ مجانية الغضب
- ٩٣ الزجر عن الطمع إلى الناس، بمجانبة التذلل واليأس
- ٩٥ مجانية المسألة في الأحوال
- ٩٧ لزوم القناعة بالقلب
- ٩٩ لزوم التوكل على الخالق الرزاق
- ١٠١ تلقي القضا، بلزوم المحبة والرضا
- ١٠٣ لزوم العفو عن الإخوان والأصحاب
- ١٠٦ ما يُعرف به وصف الكريم
- ١٠٨ ذكر ما جاء في ذمّ السُّعاة والوشاة
- ١١٠ قبول الاعتذار عن المعتذر
- ١١٢ كتمان الأسرار

- ١١٤.....استحباب الاستشارة
- ١١٦.....لزوم النصيحة للمسلمين، والشفقة
- ١١٨.....الزجر عن التقاطع والهجران
- ١٢٠.....ما على المرء من لزوم الحلم والتغافل
- ١٢٣.....ما على المرء من لزوم الرفق
- ١٢٦.....التحبيب إلى الأحباب
- ١٢٨.....إباحة جمع المال، للقائم بحقه
- ١٣٠.....الحث على إقامة المروءات
- ١٣٥.....لزوم السخاء بالأموال، ومجانبة البخل والشح في الأحوال
- ١٣٨.....التهادي
- ١٣٩.....تفريغ الكرب عن المسلمين
- ١٤٢.....إعطاء السؤال
- ١٤٥.....الضيافة
- ١٤٧.....ما على المرء من الشكر للمخلوقين
- ١٤٩.....طلب أسباب الرئاسة، على التصبر
- ١٥٥.....ما يجب على المرء من الاعتبار
- ١٥٨.....الحث على لزوم ذكر الموت
- ١٦١.....خاتمة
- ١٦٣.....فهرس الموضوعات

لقد لعبت بي الدنيا ظهراً لبطن، حتى أحاجتني للاحتكاك مع أصناف الناس، ممن ظهر أمامي حُسن عقلهم من قبحه، حتى حمدت الله عز وجل على نعمة العافية، وتعلمت أن بعض أصحاب الشارات العلمية لا يملكون ما يوازيها من العقل المدير لعلومهم، المسير لفهومهم، فرأيتهم ينتحلون النميمة، والغيبة، والكذب، والمراء، والتزيد بالأعمال، والتنافس في الأحوال، والتعاضم في المجالس، والتفاقم في المحافل، واتخاذ الناس سخرياً في خدمتهم، والضعفة النفسية، والهزيمة المعنوية، واستراق السمع، والتحسس، بل والتجسس، كل ذلك وأكثر من أجل سد الطرق، والذرائع التي تحاول انتقاصهم، أو منافستهم في دنياهم، ولو لزموا العقل والتعقل وآدابهما لما اتاجوا إلى شيء من هذا الهرج والمرج الثقايفي والسلوكي، فخلوت بنفسي، ولزمت مصادر أنسي كتابي وفنجان الشاي- فكفى الله روعي كثيراً من التشرد، وعصمني الله بالسعي الحكمة، والبحث عنها في كتب العلماء، وكان حاتم البُستي، فنبشت معالم الحكمة، وانتقيتها على كثرتها، وأخذت من كل عقدٍ جوهرته، ومن كل مقالٍ خلاصته، فكانت هذ الخزانة، الموعبة لحكم أبي حاتم، قدمتها بمقدمة فيها بيان معنى العقل والتعقل، وأثارهما وثمارهما، ودفعتهما هدية لكل محتاج، فإن «العاقل يبدي بالصنائع قبل أن يُسأل» كما يقرر ذلك ابن حبان -رحمه الله- وقد جعلتها في حقيقة الأمر كناشة حكمة، وخزانة معرفة أراجعها كل وقت وحين.

